

الشوق في ديوان الوسائل المُتَقَبَّلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي زيد الفارازي
الأندلسي (ت ٦٢٧ هـ) مع تخميسه لأبي بكر محمد بن مَهيب المغربي (ت ٦٤٥ هـ)
- دراسة تحليلية

د. نزار شكور شاكر

جامعة السلیمانیة

فاكلتي التربية الرياضية والتربية الأساسية

سكول التربية الأساسية

الملخص :

لاشك في أن ميدان النبويات يعد أحد الميادين الحافلة بالمعاني السامية ، كما
تصوره لنا المشاعر التي تعلقَت بشغف بمقصودها من وراء النظم الشعري في هذا الحقل ،
وذلك بعد أن تترك ثمة دوال قائمة على الساحة الفنية تقودنا الى إبداء بعض التساؤلات
المشروعة حيالها .

وتحاول هذه الدراسة بخطوات بحثية الحصول على إجابة عن السؤال الآتي :

(ماذا قدم الشوق للمديح النبوي في ديوان الوسائل المتقبلة لأبي زيد الفارازي) ؟

ويقتضي توافر عنصر الإشكالية في هذا الجانب المعرفي ، الوقوف على ماهية
الشوق في المجموع الشعري المذكور ، وذلك بأن يخضع لمنهاج دراسة وصفية- تحليلية ،
ترصد مفهومه نصياً وتسهم في تسليط الضوء على آلياته في نطاق تكوين الغرض الشعري
، من أجل ذلك قام الباحث على أساس فقرتين اثنتين هما : المكان والرحلة اليه والأثر
النبوي الشريف ، فضلاً عن البعد والقرب . إذ أفادت في الخاتمة ان الشوق في ديوان
الوسائل المتقبلة بدا بمظهر سخر طاقاته ضمن إطار غرض المديح النبوي في المجموع
الشعري .

المقدمة:

ارتبط الحديث في موضوع المديح النبوي في الأدب العربي بعد أن واكب هذا الغرض
بجملة من المضامين التعبيرية ، يُعدُّ الشوق أحدها ، ذلك أن أغلب المؤلفات والمنظومات
التي تقع ضمن سياق هذا الغرض الديني حرصت على مراعاة هذا الأمر بشكل أو بآخر، نظراً

لما تؤول إليه الأشواق في المحصلة النهائية من تعلق بشخصية الممدوح ضمن الغرض القائم في ضوء الإشادة بشمائله المستوحاة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة .
وتتبع أهمية هذا البحث من أنه يحاول جهد الإمكان الحصول على إجابة عن التساؤل المطروح الآتي : (ماذا قدم الشوق للمديح النبوي في ديوان الوسائل المتقبلة) ؟
ولا شك في أن الظفر بمطلب من هذا النمط يقتضي الوقوف على ماهية الشوق في المجموع الشعري المذكور ، وذلك بأن يخضع لمنهاج دراسة وصفية- تحليلية ، ترصد مفهومه نصياً وتسهم في تسليط الضوء على آلياته في نطاق تكوين الغرض الشعري ، بردفه إياه بالمعنى اللازم ، ولاسيما وأن هذه التجربة الماثلة قد تُعدُّ من طلائع تجارب الشعر الأندلسي في هذا الميدان ، ففيما هنالك رأي يذهب الى " تطور المديح النبوي ، وأصبح أحد الأغراض الشعرية المعروفة منذ أواخر العصر الأيوبي وأوائل العصر المملوكي " ، يرى آخر أن " الفضل في رسوخ قصائد المديح النبوي وإنتشاره في الأندلس قبل الصرصري والبوصيري " *يرجع الى صاحب هذا الديوان الشعري أبي زيدالفاززي الأندلسي(ت٦٢٧هـ) ، وإذا ماصح القول الأخيرعلى محك الإثبات العلمي - ولاسيما وأن مسألة القرب الزمني القائمة في النصين يجب أن تؤخذ بالحسبان - فإنه سيهم في الكشف عن طابع الريادة الأندلسية في ميدان النبويات مؤرخاً لقضية نقدية ، ومن هنا تبدو ملامح إشكالية هذا البحث المتواضع بحق ، والذي من المؤمل أن يفيد جانباً معرفياً ولو يسيراً بعد أن يشق طريقه الى القراء والباحثين الكرام ، والله المستعان .

توطئة : وتتضمن التعريف بأبي زيد الفاززي ، ومخمّس عشرينيّاته في مدح النبي (ص) الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن مهيب ضمن ديوان الوسائل المتقبلة. وفي أدناه بيان لذلك :

١- أبو زيد الفاززي القرطبي(بعد ٥٥٠ هـ - ٦٢٧) :

اسمه ونشأته:

يعد ابن الأبار البلسي(ت ٦٥٨هـ) أقدم من ترجم للفاززي ، واسمه كما ورد لديه ، وكان معاصراً له ، فهو : "أبو زيد عبد الرحمن بن يَحْلَفْتَن بن أحمدالفاززي " (١) ، وزاد في اسمه تلميذه النبيه ابن الفخّار الرعيني(ت٦٦٦هـ) بقوله : " أبو زيد ، عبد الرحمن بن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن تغلبيت بن سليمان الفاززي " (٢) ، ومن الثابت تاريخياً انه " ولد بقرطبة ونشأ بها وتجوّل ببلاد الأندلس والعدوة " (٣) ، لا كما ذهب إليه

ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) في ان منشأه كان في مراكش بقوله في اسمه ونسبه ونشأته : " عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن بن أحمد الفازازي بقبلي مدينة الزيتون مكناسة ، ومنشؤه بمراكش " (٤) ، إذ " ان المعلومات القليلة التي قدمها هذا الأخير لاتدل على معرفة تامة بحياته وأخباره ، إذ فيها من الأخطاء في نسبه وتاريخ وفاته ، والإختصار المخلّ بأخباره ما يجعلها ضعيفة أمام ما أورده ابن الأبار من معلومات دقيقة عن الرجل وهو الذي عاصره وقصد زيارته مرتين في إشبيلية سنة ٦٢٦ أي قبل ولادة ابن الزبير نفسه ، ولذا فقد اعتمد أصحاب التراجم والمؤرخون والمحدثون على رواية ابن الأبار ولم يلتفتوا الى رواية ابن الزبير ، وذلك دليل آخر على ضعفها " (٥)

حاله وورعه :

للفازازي نصيب وافر من الإسهام في ميدان العلوم والآداب ، بقي قسم منها وضاع آخر للأسف الشديد ، فهو أصلاً " كان من بيت علم ونباهة " (٦) ، وعليه كان ذا مكانة رفيعة بين الأوساط العلمية والأدبية ابان الدولة الموحدية (٥٤١-٦٤٦هـ) ، بل قلّما أن يوجد أحد مثله كما قال فيه الرعيني : " هذ شخص لم ألق مثله في دينه وفضله ومشاركته في العلوم الشرعية واستظهاره فيها بالمنة القوية ، وأما سرعة بديهته ناظماً أو ناثراً فأمر يكثر من العجب ، ولا تأتي بمثله الحقب ، شاهدته مراراً ينظم القصيدة من أربعين بيتاً الى سبعين فيكتبها في القرطاس كأنما هوناقل لها لاقائل ورأسم لا ناظم ، وربما تندر الصحيفة من يده بذلك غير محتاج فيها الى تغيير حرف ولا تبديل كلمة .

وهذه قوة لم يؤتها بشر وهذا اقتدار ليس في المنن" (٧)

وقال فيه التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ) معززا القول في الفازازي وأخباره المشرقة على ما يبدو في هذا المسرد البسيط : " كان عالماً بالآداب متصرفاً في فنونها كاتباً بليغاً شاعراً مجوداً وافر المادة قوي العارضة مشاركاً في أصول الفقه ، ذا معرفة بعلم الكلام ناظراً في الفقه ، كتب دهرًا طويلاً للولاة ، وجال بلاد العدو والأندلس كثيراً ، وغلب عليه الأدب ومال للتصوف وشهر به " (٨) ، ولا سيما وقد " كان رضي الله عنه شديد الإتياب للسنة والمنافرة لأصحاب البدع ، نزيه الهمة ، موثراً للورع ، كثير الحب في الصالحين والزياره لهم متواضعاً ... ، وله نظر جيد في الأصولين وفي الفقه " (٩) ، وأضاف صاحب نيل الإبتهاج قائلاً : " ومال لصحة المريدين والسعي في مطلبهم والتشدد على أهل البدع " . (١٠)

وفضلاً عما مَرَمَعْنَا من إشارة الى مكانة الفازازي العلمية والأدبية ، تبقى المدائح النبوية علامة فارقة وَسَمَتْهُ فنال بها شهرة جالت الآفاق بعد أن كان فارساً مكثرأ ومجوداً في الميدان قال المقرئ (ت ١٠٤١هـ) من باب الإشادة بأمداحه الأدبية في فخر العالمين (ص) : " له في مدح النبي (ص)، بدائع قد خضع لها البيان وسلم أعجز بتلك المعجزات نظماً ونثراً ، وأوجز في تحبير تلك الآيات البيئات فجراً وسحراً ، ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الأظهر فعجم وعشر وشفع وأوتر ". (١١)

شيوخه وتلاميذه :

للفازازي جملة من المرويات تدل على ذلك أسماء من روى عنهم من المشايخ ، فقد " روى عن أبي الوليد بن بقي ، والسهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخار ، وأبي عبد الله التجيبي وغيرهم " (١٢) ، وفصل بعد ذلك -بالإعتماد على هذة الرواية المبكرة - المقرئ القول فيما أخذه الفازازي عن شيوخه سماعاً عليهم ، وإجازة بعضهم إياه فيما أخذه عنهم ولا سيما من طبقة الحفاظ ، قائلاً : "وله سماع في الحديث ورواية ، وفهم بقوانينه ودراية سمع من أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ، ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخ وهو آخر من حدث عنه ، ومن أبي عبد الله التجيبي كثيراً وهو أول من سمع عنه في حياة الحافظ أبي طاهر السلفي إذ قدم عليهم تلمسان ، وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهم ". (١٣)

وممن سمع منه عشرينياته النبوية ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عفيف الغرناطي (١٤) ، " وروى الناس عنه منهم الأستاذ أبو عبد الله ابن سعيد الطراز وغيره " (١٥) ، ومن أبرز تلاميذه ابن الفخار الرعيني الإشبيلي الذي أخذ عنه كثيراً بفخر حتى أجازه مراراً للرواية عنه ، قال الرعيني : " وقد أخذت عنه كثيراً من كلامه سماعاً من لفظه وقراءةً عليه ... وأجاز لي حمل مارواه وما له من نظم ونثر مراراً عدة ، وقرأت عليه الأربعين حديثاً لشيخه الحاج أبي عبد الله التجيبي ، وهو يمسك علي أصله الذي سمع فيه على مخرجها وحدثني بها عنه (و) تفقهت به في بعض الارشاد لأبي المعالي... وبالجملة فقد كان من مفاخر زمانه " (١٦) ، وقال أيضاً بعد أن اشترك معه في الكتابة في الأندلس الى أن وافته المنية : كان " أول لقائي له بإشبيلية في عام أربعة عشر وست مائة ، واتصلت صحبتي وملازمتي له واشتركي في الكتابة معه بقرطبة وإشبيلية ، الى أن كان آخر عهدي به في رجب ، عام سبعة وعشرين وست مئة " (١٧) وهو تاريخ وفاته رحمه الله

، ومعلوم ان أبا زيد الفاززي وأخاه أبا عبد الله محمد القاضي الفاززي الأكبر منه سنا قد كتبا لأمرء المغرب ونالا حظوة وجاهاً لديهم (١٨) ، ومن أشهرهم المأمون بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الذي كتب له أبو زيد (١٩) ، بيد ان أبا زيد نالته جفوة من السلطان بقرطبة واشييلية فلزم داره مدة (٢٠) ، ويعزو الأستاذ عبد الحميد الهرامة سببها الى أمور تتعلق (بالخدمة الكتابية السلطانية) ، قائلاً بهذا الشأن: " ولعلها كانت بسبب تبرمه من الخدمة لدى السلطان " (٢١) والحق أن هذا رأي وجيه تسنده الروايات التاريخية الموثقة ، فقد كان الفاززي " متبرماً بتنشبهه في الخدمة " (٢٢) ، و" كان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ملتزماً بذلك كارهاً حريصاً على الانقطاع عنه " (٢٣) ، وثمة رأي آخر، إذ ريمًا كان موقف المأمون من التصوف وأتباعه سبباً في نشوب الخلاف بينه وبين الفاززي الذي بدت منه ميول التصوف كما أشارت الى ذلك بعض المصادر، وفي ضوء التلمذة على بعض كبار المتصوفة ، ف" التسامح الظاهري للخليفة المأمون مع المتصوفة لا ينفى بالطبع أنه خلال فترة خلافته ظهرت خلافات بين بعض أتباع التصوف والسلطات الموحدية. وللأسف لا توفر المصادر إلا القليل من المعلومات بهذا الخصوص. وهذا ما يبدو بخصوص حالة الشاعر الصوفي القرطبي أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن الفاززي (ت. ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م) فقد تتلمذ على يد متصوفين كبيرين هما أبو الحسن ابن الصائغ، وأبو الصبر أيوب الفهري " (٢٤)

عصره: مثل العصر الموحي الذي عاش فيه الفاززي ، حلقة مهمة من حلقات الحركة العلمية في المغرب والأندلس ولاسيما في الماضي القريب من إسهام الدولة المرابطية الفكري إذ" ساهم المرابطون في الحركة العلمية وأنجبت الأندلس في عهدهم عدداً من كتاب المفكرين " (٢٥) وهذا أمر ليس بغريب عن سالف الأيام في البلاد المفتوحة بوجه الوافدين ، إذ " كانت إسبانيا منذ فجر التاريخ بلد ثقافة وموطن علم وفن ، وضع الفينيقيون أساس ذلك كله وزاد عليه اليونان والرومان ، ثم أقبلت المسيحية فأنعشته وسارت به خطوات الى الأمام ، ولعل في هذا بعض ما يفسر لنا سراً من أسرار الإزدهار الفكري السريع الذي حققه المسلمون في إسبانيا على قلة اتصالاتهم بمنابع الثقافة القديمة والوسيطة في العالمين الإسلامي والمسيحي " (٢٦)

ومن أبرز مظاهر الحركة العلمية أيام الموحدين إنتشار الخزانات العلمية ف" في عهد الموحدين انتشرت الخزانات العلمية ، وكثر إقتناء الكتب وانتساخها في خزانات الدولة

والخزانات الخاصة " (٢٧) ، فضلاً عن ازدهار المعاهد العلمية ورعايتهم للفنون والعمارة ، إذ " ازدهرت المعاهد العلمية أيام الموحدين بالمغرب والأندلس وكانت المعاهد الأندلسية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية يومئذ مجمع العلوم والمعارف، ومقصر الطلاب من كل فج ، وفيها المكتبات التي تضم الكتب النفيسة والتآليف النادرة في مختلف العلوم والفنون وعني الموحدون أيضاً برعاية الفنون وأقيمت في عهدهم طائفة من المساجد والأبنية الفخمة التي تمتاز بجمالها الفني " (٢٨) ، فضلاً عن ذلك شهد هذا العصر من جديد نشاطاً في الرحلة لطلب العلم بعد أن حرص الأمراء والحكام على الإهتمام به وبأهله لاستعادة أمجاد الماضي (٢٩)

وكان هذا العهد وما سبقه عهداً ذا رسالة دينية وعقيدة فكرية ، إذ يرى أحد الدارسين " ان المرابطين قد نجحوا الى حد كبير في تحقيق رسالتهم ، ولعل أبسط دليل على ذلك هو ان تلك المناطق التي كانت موطناً للمتنبئين وذوي العقائد الضعيفة ، قد أصبحت في القرنين السادس والسابع أي في عهد المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من أشد المناطق تديناً" (٣٠) ، ولعل منهاج الحركة السلفية في عهد الموحدين الذين " كانوا ينبذون كتب الفروع ولا يهتمون إلا بكتب الأصول من قرآن وحديث " (٣١) فتح عليهم بأن يزعموا بـ " أحقيتهم في لقب الخلافة الإسلامية ، لأنهم على حد زعمهم أكثر المسلمين إيماناً وأصحهم مذهباً" (٣٢) ولاسيما بعد أن " عاد العلماء الى الاجتهاد والى الكتاب والسنة ، واستنباط الأحكام منهما وعدم العمل بأي مذهب من المذاهب المعروفة " (٣٣) ، وقاد هذا المنعطف التاريخي الى " إهتمام الأندلسيين بالناحية الدينية وبالدراسات القرآنية ... ولم ينسوا دراسة شخصية الرسول الكريم (ص) وحديثه الشريف ومناقبه ومعجزاته الخالدة " (٣٤)

ولم يكن الشعر الأندلسي بمنأى عن التأثير المتنوع الأبعاد بهذا التيار وهو في أوج عظمته فـ " قد تنوعت أبعاد هذا التأثير على الشعر الأندلسي في عهد الموحدين من جوانب كثيرة تتصل باللغة والأسلوب والمعاني والأفكار التي تندرج ضمنها قصيدة الشعر، وشعر المديح النبوي يكشف لنا عن علاقات وثيقة وشائج متينة ألفت بين شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) والشعراء أنفسهم ، فقد كان حجم هذا التأثير كبيراً من خلال كثرة الشعراء الذين مدحوا الرسول (ص) وحجم هذا الشعر قياساً الى أشعارهم الأخرى - إذ لم يكونوا بمنأى عن أكبر مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن - الحديث الشريف

" (٣٥) ، ولعل انبعاث هذا الغرض الشعري في ضوء قيامه على ثمة بواعث (تحفيزية) كانت كفيّلة بأن تنهض بالأمة آنذاك ، بوصفها من أبرز أسباب انتعاش (النبويات) في عهد الموحدين (٣٦) ، ولاسيما بعد أن قامت على أشكال فنية عديدة ترضي الأذواق كافة ، فمنها ما جاء مراعيّاً لعناصر القصيدة العربية ، ولاسيما في ضوء الالتزام بعناصرها ومنها المقدمة الغزلية (٣٧) ، ومنها ما جاء على غير ذلك بحسب ما استحدثت من فنون وأغراض شعرية في الأندلس وسواها (الموشّحات ، المخمّسات ، البيديعات ، ...) ، يأتي هذا على الرغم من " أن الشعر في الريانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب ، ولا يحقّ فيه إلاّ الفحول" (٣٨)

وهكذا كان الفازازي من أبناء العصر الموحدي الذي لا يقل شأناً عن عصور إزدهار العلوم والمعارف والآداب وليس كما يدعي بعضهم بقوله زاعماً : " ويمتاز عصر الموحدين بانحطاط الأدب كما يمتاز بانحطاط الأخلاق واختلال في الإيمان " (٣٩) ، فالشواهد المتوافرة من جملة المصادر التي بين أيدينا لا تؤيده فيما ذهب إليه .

٢- أبو بكر محمد بن مهيب (ت ٦٤٥ هـ) :

اسمه وكنيته ونسبه : هو " محمد بن مُفضل بن مُهيب اللّخمي ، يكنى أبا بكر ، من أهل شِلب من العليا" (٤٠)

حاله ومشيخته ورحلاته : " كان منقبضاً عن الناس ، أديباً شاعراً ، خمس عشرينيات الفازازي ... أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي ، تلا عليه بإشبيلية ، وعلى عباس ابن عطية أبي عمرو. روى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي ، وصحب أبا الحسن بن زرقون وتفقه عليه وانتقل الى المرية . فصحب أبا اسحق البليقي وأخذ عنه ، وتزوج ابنته وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره ، ثم انتقل آخر عمره الى سبّة... ودخل غرناطة ، قال الشيخ : دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن ابن غبيدة ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، وممن رافق جدّه في الكُتب عن بعض الأمراء مدة ، وفي الخطابة بالمرية أخرى " (٤١)

٣- ديوان الوسائل المُتقبّلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) :

هو المجموع الشعري الذي ضمّ العشرينية النبوية أوالقصائد العشرينيات التي أنشأها الفازازي سنة ٦٠٤ هـ في حاضرة قرطبة من بلاد الأندلس ورواه عنه الإمام الحافظ الشهير يوسف بن مسدي المهلب في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة وحدث به

في المسجد الحرام من العام نفسه " (٤٢) ، أي في حياته ، "وحدث بها آخرون في الاسكندرية وغيرها " (٤٣)

وفي الغاية من نظمها قال الناظم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته : " وفرغ خاطره لها ، على توالي القواطع ، وتتابع الأشغال ، ورجا بركة خاتم الرسالة ، وغاية السؤدد والجلالة محو مالسلفه من خطأ في الفعل ، وزلل في المقال ، والله ولي القبول للتوبة ، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة فذلك يسير في جنب قدرته ، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته " (٤٤) وخمس عشرينيات المذكورة أبو بكر محمد بن مهيب ، كما مر ذكره من قبل ، وقد ذاعت في بعض البلدان الإفريقية ، قال أحد الدارسين المحدثين : " وذاع هذا التخميس في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب أفريقيا وشاهدت الناس يقرأونه في عيد المولد النبوي في المدن المالية بعامة وفي مدينة تنبكتو بخاصة وأكثر ما يقرأونه من ذلك مخطوطات تحتوي العشرينيات وتخميسها ، كما شاهدت بعض مخطوطاته في مدينة غدامس الليبية " (٤٥) ، وقال الشيخ أبو بكر في بيان سبب تخميسه القصائد العشرينيات بتواضع مقترن بالإشادة بمنشأها : " فانبعثت لتخميس قصائده المذكورة مزدلفاً لمشاركته في ثوابها بنسبة التذييل والتخميس معترفاً لمنشئها رحه الله بحسن التأصيل والتأسيس . متصفاً بالعجز عن ذروة الإحسان التي أقدره الله على رقيها في سبيل التنزيه لنبيه الكريم والتقدیس

وابن اللبون اذا ما لزم في قرن لم يستطع صولة البذل القناعس
ولست من رجال أبي زيد ولا من أقرانه ، وقد بلغت من فضيحة نفسي إذ جاريته في ميدانه
وقرنت مخشلي وسيء جلبي . بلؤلؤه ومرجانه . ما لم يبلغه كل معتاظ ما ليس في وسعه
متكلف ما لامعين له عليه من مادة علمه وجودة طبعه " (٤٦) ، فضلاً عن هذا هنالك
تخميس آخر لهذه العشرينيات لمجهول وهذا أمر غير مستبعد ، قال أحد الدارسين : " ولهذه
العشرينيات تخميس آخر لمجهول " (٤٧) ، وتجدر الإشارة الى أن الديوان منظوم على
البحر الطويل وجاء جرياً على العادة المتبعة في تسمية الكل بالجزء قولهم : " وهذه
القصيدة من بحر الطويل المقبوض ضربه ووزنه : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن مرتين ،
ويجوز قبض فعولن في هذا البحر أينما كان فيصير فعول ، والواقع أول البيت يجوز فيه
الثم فيصير فعولن ، والثرم فيصير فعل ، ويجوز قبض مفاعيلن وكفه على سبيل المعاقبة ،
فيصير في القبض مفاعلن وفي الكف مفاعل " (٤٨)

عناوين الديوان : يبدو أن لهذا الديوان أكثر من عنوان يذكر، أشار الى ذلك القدماء والمحدثون ، إذ جاء في الإحاطة أن عنوانه : " الوسائل المتقبلة والآثار المسلمة المقبلة " (٤٩) وقال د. منجد مصطفى بهجت في تسمية القصائد العشرينية ما نصه : " وبعض المصادر تسميه : سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة " (٥٠) ، ولعل العنوان الأخير يسلط الضوء على واقع الأمة آنذاك المغلوب على أمر أهلها ، إذ ينبع مما مرت به من محن وما شهدته من نكبات أفضت الى شد العرى بتيار المديح النبوي بما يحمل من مضامين تخفف من وطأة مصاب المسلمين الأليم بعد أن نؤوا بحمله يومئذ .

طبعاته : للديوان طبعاث مذيّلة بشروح لغوية ، مع بعض العناية بضبط الألفاظ ، وفيها ثمة أخطاء إملائية وعروضية ، وهذا راجع الى انها لم يقيض لها ان تخضع لمنهاج التحقيق العلمي الرصين، وهي:

- ١- طبعة (قديمة صدرت عن المطبعة الميمنية) ، مصر ، ١٣٢٢ هـ . وفيها أثنى على الديوان الشيخ محمد الزهري الغمراوي بقوله : " وقد احتوى هذا الديوان على دراري محاسن أخلجت عقد الجوزاء ، وجواهر ثناء أدرت بمحاسن الحسناء ، وكيف لاوهو في مدح من جمعت له سائر الكمالات وحصرت في هديه جميع الخيرات " (٥١)
- ٢- طبعة بيروت ، ١٩٠٥ .

٣- طبعة (نيجيريا) التي أشار اليها الأستاذ عبد الحميد الهرامة (منفرداً) (٥٢)

٤- طبعة مطبعة المنار ، تونس ، ١٣٧٨ هـ (المعتمدة في الدراسة الحالية).

شروحه: للعشرينيات ثمة شروح مفيدة عديدة ، منها :

- ١- النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية ، للشيخ العالم محمد بن مسنّ البرنوي .
- ٢- النوافح العنبرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية ، للشيخ محمد بن غبريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢ (معتنى بتنقيحها وتصحيحها) ، ٢٠٠٧ .

٣- شرح تخصيصات المعشرات الفازازية ، لأبي العباس التنبكتي (٥٣)

وصفوة القول ان ديوان الوسائل المتقبلة كان بمجمله جزءاً من النتاج الأدبي - الشعري في العصر الموحد في " هذا النتاج يتكون من دواوين شعرية ، اما جمعت في عصر أصحابها أو فيما بعد ، ومن قصائد شعرية مستقلة ومنظومة على نمط معين ، مثل المعشرات والعشرينيات والوتريات ، أو التخميسات والتربيعات ، وكذلك من منظومات أو مجموعات

أوموشحات دينية ، ثم هنالك القصائد الشعرية في مدح الرسول والتشوق الى الديار المقدسة أو في التوسل ، أو في مدح النعال النبوية الشريفة " (٥٤) ، فضلاً عن عشرينيات الفازازي (المعروفة) كما وصفها التنبكتي (٥٥) ، والتي قال فيها الرعيني الإشبيلي من قبل : " لم ينظم أحد في مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثلها " (٥٦) ، وقال فيها ابن الزبير كذلك : " ونظم عشرينياته المعروفة يمدح فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأجاد فيها كل الإجابة " (٥٧) ، وهنالك مؤلفات أخرى له وآثار أشار إليها وجمعها بعض تلاميذه سواء في حياته أم بعد مماته ، فضلاً عن بعض الأدباء والمؤرخين القدامى والباحثين المحدثين المتتبعين اخباره هي :

١- أشعاره ومعشراته الزهدية (٥٨) ، وجاء في ترجمته لمعشراته الزهدية قوله : " المعشرات الزهدية والمذكرات الحقيقية الجدية ، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين ، شائقة الى مناهج السالكين المستبقيين ، نظماً متبركاً بأغراضهم وإشاراتهم ، وقابضاً عنان الدعوى عن مداناتهم مهتدياً إهداء السنن الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم ، مخلداً دون أفقهم العالي الى حضضه ، جامعاً لحسن أقواله ، وقبح أفعاله ، بين الشيء ونقيضه عبد الرحمن " (٥٩) ، وقال التنبكتي : " له أشعار في الزهد سارت منه " (٦٠) ، و يبدو انه كان أكثرها منها ولذلك فـ " الزهديات فيما يبدو كانت عليه أغلب ، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل صاحب المجموع لا يورد له إلا قطعة واحدة صغيرة ذات أربعة أبيات " (٦١)

٢- المعشرات الحبيبة (٦٢) ، وجاء في ترجمته لها : " النفحات القلبية واللفحات الشوقية منظومة على أسنة الذاهبين وجداً ، الذاهبين كمداً وجهداً ، الذين غربوا وبقيت أنوارهم واحتجبا وظهرت آثارهم ، ونطقوا وصممت أخبارهم ، ووفوا العبودية حقها ، ومحضوا المحبة مستحقها ، نظم من نسج على منوالهم ، ولم يشاركهم إلا في أقوالهم فلان " (٦٣)

٣- القصائد العشرية ، قال فيها الشيخ محمد الزهري الغمراوي مستحسناً إياها : هي " من غرر القصائد ومن أكبر الدلائل على ما لمُنشئها من البراعة والإقتدار الزائد " (٦٤)

٤- مادة التحقيق وجادة الطريق (٦٥)

٥- خطاباته عن الأمراء والولاة ، ورسائل الإخوانية (٦٦)

٦- خطبه للواعظ أبي عبد الله بن الحجام (٦٧)

٧- الطرر التي رد بها على المكلاطي (٦٨)

الدراسة التحليلية: لاشك ان إسهام البعدين المادي والروحي في تلوين التجربة الشوقية في ديوان الوسائل المتقبلة ، وتخمينه في تصورنا يعد أمراً يكفل لنا بيان طبيعة تلك التجربة الشعورية لمقصد بحثي إستدلالي ، ومع ان البعدين يقعان ضمن حقل واحد من التأثير والتأثر بين بعضهما ، بيد ان طبيعة الدراسة القائمة على الوصف التحليل -كما ذكرنا في المقدمة- تجوز لنا الى حد ما إجراء فصل موضوعي بالنصوص ، وبالتالي الوقوف على أكثر من جانب دلالي ، أو ان شئت بعبارة أخرى الوقوف على نقاط محددة تفرق بين (البعدين)المفترضين حتى وان كان في ذلك تداخل لا يخفى على القاريء الكريم ، فالأهم أن تبدو للجميع ثمة دوال تقود الى تسجيل بعض الملاحظات عن توافر أكثر من وجهة بدت متنفساً للشوق الجامح الى النبي(ص) ، ولاسيما بعد الإفادة من آليات مرصودة تؤلف بمجملها لوحة شوقية تلونت من أكثر من مصدر في ضوء النظرة التجزيئية الى مجمل التجربة الشعرية ، التي تنتظم -إن لم تكن مخطئين- حول فقرتين إثنيتين مترابطين، فهما من حقل أو مقرب دلالي واحد ، هما:

١- المكان والرحلة اليه والأثر النبوي الشريف :

منذ القدم مثل المكان محوراً أثيراً للشوق ، إذ لا يملك المشتاق وهو الذي نأت به الأقدار حيلة سوى بث ما يختلج في صدره ، وينفث نفثة مصدور ، غلبه شوقه على أمره للمكان ، ولاشك هنا ان البعد المكاني كان بارزاً في معرض الشوق للأماكن النبوية ، ولاسيما وان بعضها قد تشبع بدلالات ثرة نظراً لإرتباطها بأحداث غيرت مجرى التاريخ في يوم من الأيام ، وهذا ما أوجب بالضرورة قيام أو نشوء(الشوق المكاني) بكل ما تحمل هذه التسمية من دلالات تصدعنها بتأثير الدين الإسلامي الذي أضفى بنقلته نوعية على الفرد وذلك بإخراجه من حيز ضيق الى آخر أوسع وهذا ما يفيدده عنصر المكان من جانب ، إذ " نعرف ان الإسلام قد جعل في مقدمة أغراضه العمل على تغيير الإنسان العربي بغية تحويله من الذات الفردية المنغلقة في مجتمعات صحراوية الى عالم كوني متفتح ومتصل بالله أشد الإتصال ، ولقد كان القرآن وسيلته الى ذلك فدعا الى التسامي الحضاري على كل ما هو فردي وأتاني وذاتي ، وكان المطلوب هو الخروج من ضيق الدنيا ، ومحدودية الذات الى رحابة الكون كله ، والدخول في عالم سماوي شفيف . ثم كان دور النبوة في تأكيد هذا الدور". (٦٩)

ولذلك كان المكان المديني نقطة الارتكاز الأبرز حضوراً ضمن هذا الحيز فقد كانت المدينة (يثرِب/ طَيْبَة) العنصرالمكاني الأشهرفي هذا الميدان ، فهي دار الهجرة النبوية ثم دار الإنتقال الى الرفيق الأعلى ، ومن وحي البكاء والوقوف كما فعل الشاعر قديماً وهو يصف الدار ويشيد بساكنيه ، نقرأ التخميسين الآتيين : (٧٠)

دُمُوعٌ عَلَى الْخَدَّيْنِ تُرْسِلُ مَزْنَهَا وَنَفْسٌ لِيَوْمِ الْبَيْنِ تَدْبِئُ حَزْنَهَا
فَيَا قَوْمَ وَالْأَمَالَ تُحْسِنُ ظَنَّنَهَا قِفُوا الْعَيْسَ فِي أَعْلَامٍ يَثْرِبُ إِنَّهَا
رِيَاضٌ لِمَنْ يَرِنُ وَمَنْ يَتَنَشَّوَقُ
فَأَكْرِمِ بِهَا مِنْ مَعْهَدٍ أَيْ مَعْهَدٍ تَأْرَجْ مِنْهَا الْعَرْفُ لِلْمُتَوَدِّدِ
وَأَشْرَقَ مِنْهَا النُّورُ لِلْمُتَعَبِّدِ قَرَارَةٌ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
فَلَا عَرَوْا أَنْ تَأْفَى تُنِيرُ وَتَعْبِقُ

ولعلّ المطلع أو الاستهلال قد فعل من وتيرة الشوق باستدكارطرف من السيرة النبوية العطرة التي تقطع الزمان والمكان اختصاراً ، إذ" لا يخفى أيضاً ما في هذه المطالع من شدة شوق ويتجلى ذلك بشكل خاص في قدرة الشاعر على استحضار الغائب متخطياً الزمان والمكان " (٧١)

ويبدو ان طلب دلالات المكان بشوق جرى في ضوء تقليد قديم أفاد من الرحلة المرتبطة بالمكان (موقعاً) من طرفين في ضوء الإنتقال المألوف من مكان الى آخر كما في أعلاه - هذا على اعتبارتحقق الرحلة- ، أو غير المتحققة بعد أصلاً في ضوء شحذ الهمم اليها حباً واحتساباً واکراماً للنبي الهاشمي (ص): (٧٢)

فَدُونُكَ فَاقْصِدْهُ هَوَى وَمَحَبَّةً وَفِي طَيْبَةِ مَرَّغٍ عِذَارِيكَ جِسْبَةً
وَحَسْبُكَ أَنْ تَسْعَى لِمَكَّةَ قُرْبَةً تَسْبِيرٌ وَأُحْـدٌ أَكْرَمُ الْأَرْضِ تَرْبَةً
مُهَاجِرُهُ هَذَا وَذَلِكَ مَبْعَثُ

ومن البديهي أن يقترن التوكيد على هذا الإنتقال المكاني الموجّه للمتلقى (الفرد أو الجماعة) -لاخلاف في ذلك- بتمني أن تحظى الذات الشاعرة بالسفر الى ما تروّج له وتدعو بلهفة حارة ، مما قد يمنحها قدراً من المصادقية المطلوب توافرها في رسالة القول على الأقل في نطاق الموقف التعبيري القائم ، كما في التخميس الآتي : (٧٣)

أَلَايَتِ شِعْرِي وَالْخَطُوبُ مِلْمَةٌ وَأَمْرِي إِبْهَامٌ عَلَيَّ وَعُغْمَةٌ

أَتَهَضُّ بِبِي نَحْوِ الْمَدِينَةِ هِمَّةً غُلِبْتُ عَلَيْهَا وَالشَّوَاغِلُ جَمَّةٌ
فِيَا لَيْتَنِي أُدْرِي مَتَى أَتَفَرَّغُ

ويسهم القصد من الرحلة في إسناد دلالة (أهل / المكان) اللذان لا ينفكان عن بعضهما ، إذ تقوي بعض معطيات الرحلة أبعاد المكان بعد أن ينبع حب المرتحل لأهله من الصميم ، فكل شيء سواه زائل من القلب المخلص الذي لا يجيد إلا التعلق بشغف بمحبوبه : (٧٤)

سَلَا قَلْبُ مَنْ يَسْأَلُ وَقَلْبِي مَا سَلَا وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا خَلَا حُبَّهُ خَلَا
يَعْرِ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ وَتَرْحَلَ خِفَافَ الْمَطَايَا نَحْوَهُ تَسِيمُ الْفَلَا
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْعَقِيقُ مَنَوُخُ

ولعل هذا التعلق يقود من جانب الى التساؤل المنطقي في معرض محاسبة النفس القاعدة عن الزيارة (٧٥) ، ويبدو ان تبرير هذا التخلف كان بالتعويل على حكم القضاء ، ولعله جاء من هذا المنطلق من أجل ان تكتب للرحلة الديمومة وهي في طريق بيان التجربة المؤلمة ، على الرغم من جميع المعوقات التي حالت وتحول دون تحقق الزيارة المرتقبة من نحوما جاء في التخميس في أدناه : (٧٦)

سَمَتْ هِمَّةٌ نَحْوَ اللَّحَاقِ بِهِ سَمَتْ وَأَخْرَجَهَا عَمَّا إِلَيْهِ تَقَدَّمَتْ
قَضَاءً جَرَى فِيهِ عَلَى الرَّغْمِ سَلَّمَتْ وَجَدْنَا بِهِ وَجَدَ الظَّمَاءُ تَسَمَّتْ
نَسِيمَ الزَّلَالِ الْعَذْبِ فِي الْقَيْظِ فِي الدَّوِ

وفي ضوء ما سبق يكاد يظهران بعض خصوصية المكان النبوي قادت الى تحشيد ثمة دلالات يسند بعضها بعضا ليس من وجه واحد فحسب ، بل من وجوه عديدة ، وذلك تحت راية معتقد ديني يتناسب مع الأجواء التعبيرية فـ: (٧٧)

مَحَبَّتُهُ دِينَ زَكَا وَخَلِيقَةٌ وَمَذْحِي لِحَقِّ الْحُبِّ فِيهِ حَقِيقَةٌ
سَتُجْرَى بِهِ نَفْسٌ إِلَيْهِ مَشْوَقَةٌ ثَنَائِيَا ثَنَائِي لِلْجِنَانِ طَرِيقَةٌ
فَأُ قَسِمُ عَلَى الْجَدْوَى فَلَسْتُ تُحَنَّنْتُ

وهذا ما ترتب عليه موقف ، فقد هناً الركب المرتحل لهذه الغاية النبيلة ، مع حفاوة التمنيات القلبية أن يحظى القائل باللطف الرباني في ان تكتب له أيضا الزيارة ، وقد تعذرت حينئذ ، ولا يمتلك والحال هذه سوى السلام المؤكد على النور: (٧٨)

أَحَقًّا غَدَا الرَّكْبُ الْمُغْدُ إِلَى مِنَى وَسَارُوا إِلَى الْقَبْرِ الْمُجَلَّلِ بِالسَّنَا
هَنِيئًا لَهُمْ وَاللَّهُ يَلْطَفُ لِي أَنَا قَصَارِي وَالْأَيَّامُ تَمْطُلُ بِالْمَنَى

سَلَامٌ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ الْمُفْتَقُّ

سَلَامٌ عَلَى النُّورِ الَّذِي جَاءَ بِالْهُدَى سَلَامٌ عَلَى الْبَدْرِ الْمَسْمَى مُحَمَّدًا
وما تقدم قد يدعو من زاوية الى الحديث بعض الشيء عن التعلق بالمكان دينياً ، ولا سيما
بعد أن ضمّ بين جنباته ما يستقطب اليه النفوس قبل الأبدان وهي : القبر الشريف ، و
الروضة وتمثال او مثال النعل ، وقد لانبعد عن الصواب إذا ما قلنا ان هذا النهج لا يغير
تعلق الشاعر القديم بإبراز معالم المكان والاشادة به في مقدمة قصيدته ، ولا سيما الذي
غلبته المشاعر والذكريات المتأصلة مكانياً تلكم المرتبطة بالمحبوب بعمق ، ولعل هذا النهج
الساثر هو الذي أسهم من وجهه في إطفاء مسحة من الصفات الخالدة عليه أو المقدسة
على حسب طبيعة الغرض الشعري بعد أن تأطر دينياً ، كما في التخميس الآتي : (٧٩)

هُوَ الْمُصْطَفَى الْمَحْبُوبُ طَبْعاً وَقَرِيبَةً تَقَدَّسَ ذَاتاً ثُمَّ قَبِراً وَتَرِيبَةً
أَقُولُ وَأَعْنِيهِ هَوَى وَمَحَبَّةٌ أَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ شَوْقاً وَجِسْبَةً
لَعَلِّي غَدًا مِنْ حَوْضِهِ لَا أَحْلَأُ
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ قَالَتْ بِفَضْلِهِ وَحَنَنْتُ كَمَا حَنَّ الْمُحِبُّ لِيَوْضَلِهِ
حَرَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ إِجْجَادٌ مِثْلِهِ أَحِنُّ إِلَى تَقْبِيلِ مَوْطِئِهِ نَعْلِهِ
لَعَلِّي أَرَوَى بِالَّذِي كُنْتُ أَظْمَأُ

وعلى افتراض ان للمكان مفهوماً رمزياً يقع ضمن إطار العمل الفني ، فقد استدعى تكوينه
البنائي قيام نسيج يتأثر به فن التعبير الشوقي أكثر من كون المكان مجرداً عن أي قيمة
بنائية ومن ثم مختلفاً ف " إذا كان المكان كمفهوم يبتعد عن الواقع ... ، فإن المكان في
العمل الفني يبتعد هو الآخر عن المكان في الأرض ، ولكن ثمة علاقة أكثر وشاجة ، ذلك
ان درجة الإنعكاس التي يثيرها مكان ما له ملامحه وحضوره وكيانه على الفن تكون أشد
من سواه ولذا يمكن أن يكون ثمة تشابه كبير هنا ولا يكون هناك ، فالشروط الموضوعية
التي يوجد فيها كلا المكانين مختلفة ، ولذا لا بد وأن يكونا مختلفين أيضاً ". (٨٠)

ويبدو من إستقرائنا النصوص ان المحيط المكاني (للقبر) إن هو إلا ينبوع للشرب الروحي
والإرتواء ، الذي يعني يسيره عن كثيره فهذا هو ديدن الأصالة التي لا تلوها شائبة تذكر
القادمة من شبه فضاء صوفي ارتبط فيه مصدر السقيا المكاني دنوياً بمصدر آخر أخروي
(حسي) هو (الحوض) وكلاهما له صاحب واحد هو النبي (ص) : (٨١)

لَقَدْ ظَمِئْتُ نَفْسِي بِعِلْمِ إِلَهِيهَا وَأَسْوَرَ كَرَعَتُ فِي طَيْبَةِ مِلْءِ قَاهِيهَا

إِذَا ظَفِرْتَ بِالرُّشْدِ بَعْدَ سَفَاهِهَا صَلَاحُ فُؤَادِي جَزَعَةٌ مِنْ مِيَاهِهَا
وَالْأَفْكَافِيْنِي التَّعَلُّلُ بِالْمَصِّ

ولذلك كانت من مزايا القبر النبوي انه مقصد قلوب طلاب الحقيقة الساعين اليها بهمهمم
العالية شرقاً ومغرباً ، ومعلوم ان أهل العلم ذوو حاجات ملحة هي ميزتهم عن سواهم من
عامة الناس : (٨٢)

فُؤَادِي مَعَ الرُّكْبَانِ صَارَ مُصَوِّبًا لِقَبْرِ نَبِيِّ أَثَرَ الْحَقِّ مَذْهَبًا
وَلَمَّا اغْتَلَى فِي الدِّينِ دَاتَاً وَمَنْصِبًا ضَرَبْنَا إِلَيْهِ الْعَيْسَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَفِي النَّاسِ مَقْبُوضُ الْعِنَانِ عَنِ النَّهْضِ

ثم ان هذا القبر ببساطة لرسول قرشي كريم الأصل والمحتد ، لذا تشتاقه بلوعة النفوس
العاشقة له (ص) : (٨٣)

فَلَلَّهِ صَبَبٌ وَهُوَ مُوَرِّقٌ وَأَكْبَادُهُ بِالشَّقْوَى تُذَكِّي وَتَحْرَقُ
لِقَبْرِ رَسُولٍ شَأْوُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ كِلَا طَرْفَيْهِ فِي السِّيَادَةِ مُعْرِقُ
فَمَا شِنْتِ مِنْ أَسِّ كَرِيمٍ وَمِنْ سَمِّكَ

وهو المُقَدَّى بالنفس، وهو القليل بحق صاحبه السيد : (٨٤)

بِنَفْسِي لَهُ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرٌ مُلْحَدٍ أَكَادُهُ أَنْقَدُ لَوْلَا تَجَلُّدِي
فَبِاللَّهِ خُلُونِي لِعَيْبِي وَمَشْهَدِي فَوَاللَّهِ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ حُبِّ أَحْمَدٍ
مَعَ الْجُهْدِ إِلَّا الْبَعْضَ مِنْ كُلِّ مَا أَخْفِي

ومما تقدّم ايضاها كان من البديهي أن تمنح بعض الأمكنة السكنية النفسية ، ولاسيما إذا
كانت مشبعة بأبعاد روحية تظهر في النص الأدبي ، وتعد الروضة الشريفة في المدينة
المنورة أحد هذه الأمكنة التي يظفر بها الفؤاد المعنى بالشفاء من أثر الإشراقات النبوية
التي تعم أرجاءها كما أفاد ذلك قول الفازازي في إحدى عشرينياته النبوية من ديوان
الوسائل المتقبلة : (٨٥) :

شِفَاءُ فُؤَادِي فِيهِ مِنْ بُرْحَانِهِ وَقَدْ حَالَتْ الْأَقْدَارُ دُونَ شِفَائِهِ
لَدَى رَوْضَةِ قَدَاشٍ رَقَّتْ بِبَهَائِهِ سَأَلُونِي كَيْفَ الْحَالِ دُونَ
لِقَائِهِ

ولذلك كان تمنى الحضور في حدوده قد تجاوز مساحته المحدودة ، الى أكثر من بقعة
ولاسيما بعد أن ترسخ في الإعتقاد ان نيل شرف التواجد لا يكون إلا لصاحب حظ عظيم

ومقام رفيع ، وهذا ما يحسب للتأليف من ناحية ولاسيما بعد أن وظّف المكان الأرضي (المحدد الأبعاد) في خلق حيز فسيح تتوجه النفس بالأمنيات الصادقة إليه ، وإن كان لكل صعيد اسمه المعهود لفظياً : (٨٦)

مُنَى النَّفْسِ لَوْ نَفْسِي أُتِيحَ افْتِرَاحُهَا لَدَى رَوْضَةٍ يَنْفِي الكُرْبَ التَّمَاحُهَا
فَقَلْتُ وَنَفْسِي قَد تَنَاهَا ارْتِيَاحُهَا ظِرَابُ نَوَاحِي يَثْرِبُ وَيَطَاحُهَا
مُنَايَ وَهَلْ يَحْظَى بِهَا غَيْرٌ مَن أُحْظَى

ولهذا الصنيع مبدأ مشروع يشتغل عليه ، إذ يبدو انه لايفاضل بين مكان وآخر، وذلك عن طريق توظيف آلية الاحتفاظ بمكانة وخصوصية كل مكان على حده في ضوء تخصيصه بالذكر الصريح ، وكأنه يريد تقوية ما هو بصده من دلالة مكانية - جزئية بتوكيد المعنى ذاته عن طريق الإستفادة من دلالات (المكان النبوي) على وجه العموم ، وقد ظهرت هذه التقنية في تخميس آخر، إذ كان المكان الشريف مصدراً لنيل الوطر وللإرواء معنوياً بالآثار النبوية مجتمعة بعد الظماً اليها بالقول في أحد التخميسات : (٨٧)

أَلَا هَلْ لِمَنْ يَشْتَاقُهُ يَوْمَ مَوْرِدٍ يُعْفَرُ خَدًا عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْعَةَ الْهَائِمِ الصَّدِيِّ ظَمِنْتُ إِلَى تَقْبِيلِ آثَارِ أَحْمَدٍ
فَهَا أَنَا لِإِلْظَمَاءِ مُتَّصِلِ اللَّمْظِ

وهذا ما يكشف لنا أن الأوطان والريوع النبوية كانت على الدوام في المخيلة الخصبية ، التي كانت -كما يبدو- مع تجدد الذكر، باعثاً حقيقياً على زيادة درجة الإشتياق لصاحبها المصطفى وذلك بما تصوره عملياتها الفاعلة للنفس الولهي ، قال الفازري في هذا المعنى على نحو تقريره مباشر خالٍ من الشاعرية : (٨٨)

مَتَى ذُكِرَتْ أَوْطَانُهُ وَرِيُوعُهُ تَوَهَّمَهَا قَلْبِي فَزَادَ نَزْوَعُهُ
وربما يكون لهذا المضمون فائدة بهذا الشكل تتمكن من أن تفسر (الجملة الإخبارية) فيه كيف سيقتنع (المولع / الفاني) من الرؤيا البصرية للمكان باللحمة التي لا تكاد تستغرق من الوقت الزمني إلا الشيء القليل (الثواني) ، ولاسيما المتزامنة مع هبوب عبقه ، و شذى أريجها الفواح من أثر (نفحة يثرية) ، كما جاء به النظم القولي في التخميس الآتي من قافية حرف النون : (٨٩)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِعَيْنِي لِمَحَّةً لِرَوْضَتِهِ حَيْثُ الرَّغَائِبُ سَمَحَّةً

فَإِنَّا وَأَسْبَابُ الْوُلُوعِ مُلْحَةً نَكَادُ إِذَا هَبَّتْ لِيَثْرِبَ نَفْحَةً
نَطِيرُ لَهَا شَوْقًا وَنَفْنَى بِهَا حُزْنَا

وهذا ما يفسر وجود نزعة زهدية يقظة تربط بين الجانب الحسي البصري اليسير (اللمحة) والجانب الشمي العابر (النفحة) من غير تناقض دلالي جاء من إحياء القناعة المكانية بوصفها بؤرة مدركة وحركية فاعلة فيها:

نَطِيرُ لَهَا شَوْقًا وَنَفْنَى بِهَا حُزْنَا

وللمكان المديني متعلقات فعلية مصاحبة له يصعب الحديث عنه من دونها ، مالت النفس اليه بالاشتياق والتبرك ، فقد كان الأثر النبوي قبلة المحبين وبغية الزائرين ولازال ، ولذلك كثيراً ما تردت وتتردد في عرض المديح النبوي صور التذلل للتربة النبوية فكان أن صدرت من بعض الشعراء الرغبة الشديدة في التعفر بها وتقبييلها (لثمها) ، ولاسيما بعد أن حالت الأقدار دون الزيارة المرجوة ، وكأن في الأمر دلالة على صور الولاء القلبي لشخص النبي (ص) على الرغم من الحرمان بالبعد عنه ، في ضوء جسور الحب والإخلاص الممتدة إليه بعد أن طاب ترابه الشريف : (٩٠)

لَقَدْ حَالَتْ الْأَقْدَارُ دُونَ أَتْرَابِهِ وَأَسْلَمَنِي لِلْبَيْنِ حُكْمَ جَرَى بِهِ
فَقَلْبِي لَا يَنْفَكُ نِضْوًا اضْطْرَابِهِ هَوَايَ مَعَ الْأَعْدَارِ لَثْمُ تَرَابِهِ
وَمِنْ أَيْنَ لِي ذَاكَ التُّرَابِ الْمُفْضُوهُ

ولا أظن أنه سيغيب عن ذهن القارئ الكريم ان الوازع الديني يلقي بأضوانه بشدة على مرافق هذا الجانب ولاسيما بعد أن كان السياق التعبيري في النص الشعري التالي يشير الى مشاعر إسلامية جديدة يقتضيها التواجد (بمعنى الحضور) في ذلك المكان الطاهر والتي تستوجب من وجهة نظرها فعل (اللثم) أو (التمرغ) بعد أن ساد أنها تؤدي في الختام الى (الفوز) ، وهو ضالة المسلمين ، كما جاء به التصريح الآتي: (٩١)

لَقَدْ فَازَ مَنْ لَبَّى وَطَافَ وَزَارَهُ وَمَرَّغَ فِي ذَاكَ التُّرَابِ عِدَارَهُ
يَقُولُ وَقَدْ أَذْنَى الْهَوَى مِنْهُ دَارَهُ يَحُبُّ رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو جِوَارَهُ
وَكُلُّ مُحِبٍّ فَالْحَبِيبُ لَهُ حَسْبُ

وهذا ما يفتح بالقول في آثار نعله كذلك ، إذ بقيت (آثار نعله) بوصفها دالة تعويضية أيضاً تستمد قيمتها التي لاتخرج عن جملة المعطيات النبوية ، غير غائبة عن محمولات الشوق الى قصد الرسول الكريم الممدوح ، وعلى وجه العموم يمثل ذكر تمثال النعل الفصل الثاني

من فصول الشوق والحنين الحسية التي نوع شعراء الموحدين فيها ف " قد أفرد الشعراء في عصر الموحدين قصائد كثيرة في الحديث عن آثار النبي الشريفة ، ويجد الدارس ضرباً وأصنافاً كثيرة لتعلقهم الشديد بهذه الآثار، وتفانيهم في حبها ، وكما تقدم بنا شوقهم الشديد وحنينهم الى زيارته فكذلك شوقهم لآثاره وحنينهم اليها" (٩٢) ، وكانت هيئة الفعل المرتبط بهذا الأثر مقبولة بعد أن استندت على خلفية معرفية امتاحت من معين ديني مؤطر لصاحب الأثر كما جاء في التخميس الآتي ، إذ صدر فعل تقبيل آثار نعله (ص) من أثر الشوق لوصل الحبيب (تعويضاً) ، في ضوء الإشارة ببساطة الى رابطة الإصطفاء الإلاهية المقدسة بين الرب (المُصنَّفِي) وعبده (المُصنَّفِي) : (٩٣)

هُوَ الْمُصنَّفِي لِلَّهِ مِنْ خَيْرِ رُسُلِهِ رَعَيْنَا لَهُ الْحَقَّ الْمُرَاعِي لِمِثْلِهِ
فَهَا نَحْنُ مِنْ شَوْقٍ لِسَاعَةٍ وَصَلِهِ نَقْبَلُ بِالْأَفْكَارِ آثَارَ نَعْلِهِ
وَمَنْ فَاتَهُ الْمَحْبُوبُ حَنَّ إِلَى الْمَعْنَى

و هذا الشوق - كما يتبين - غير مفصول بطبيعة الحال عن المكان ، فمن هذا الصعيد أيضاً تعز الزيارة - كما هو حال من لم يظفر بها - فيتصاعد الرجاء الصادق كالعادة الى الله تعالى أن يبسر أمرها وأن يجمع شمل الأحبة والآ فالحال عصبية ، كما ان الناس في العطية الإلاهية ليسوا سواسية هكذا شاءت قدرته عز وجل : (٩٤)

مِنَ اللَّهِ أَرْجُو نَظْمَ شَمْلِي بِشَمْلِهِ وَإِلَّا فَدَمَعٌ وَيَبْلُهُ إِثْرَ طَنِّهِ
وَحَبَّ عَلَيَّ النَّأْيُ اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِهِ مُنَى كُلِّ نَفْسٍ لَشْمِ آثَارِ
نَعْلِهِ وَفِي النَّاسِ مَنْ يُعْطَى مَنَاهُ وَيُحْرَمُ

والعلاقة القائمة بين الشوق والرجاء في بعض الأوقات العصبية علاقة طردية ولاسيما مع البعد الذي يعيشه أفراد مجتمع ما تعلق نفوسهم بالحبيب ، إذ تنقوى دلالة الرجاء لدى الفرد الأندلسي في زمن أبي إلا أن يكون مفرقاً بين الأحبة على نحو ماجاء في التخميس الآتي في أدناه ، من غير قنوط فهو الكفيل بالبقاء الذاتي ضمن دائرة الإحساس الشوقية وجذوتها المتأصلة في النفوس المتطلعة لأداء مشاعر فريضة الحج أو العمرة ولاسيما من الأندلسيين الأرق شوقاً ضمن هذه الدائرة ، فقد " كان أهل الأندلس من أرق الناس شوقاً الى زيارة الرسول ، لأن بعد المزار غزا قلوبهم بأقباس الحنين " (٩٥) ، وهذا الصنف من الرجاء لدى المؤمنين مع انه جاء من رحم معاناة لكنه أخذ يُفَعَّل باتجاه إيجابي ف" أمام شعور بعضهم بالعجز عن اداء بعضهم هذا الواجب الشرعي - فإنه لا يبقى لهم إلا الأمل والتمني ، اللذان

يحولان دون الإستسلام لليأس والقنوط ويحافظان على جذوة الأشواق ويوججان مشاعر الحنين لدى المؤمنين " (٩٦) ، التخميس: (٩٧)

مِنَ اللّهِ أَرْجُو أَنْ يُسَنِّيَ قَرِيبَهُ وَإِنْ عَاقَ وَقَتُّ كَدَّرَ اللّهُ شَرِيبَهُ
نُرَاوِدُهُ سِلْمًا فَيُوَثِّقُ رُحْبَهُ لَثْمْنَا بِأَفْوَاهِ الْخَوَاطِرِ قَرِيبَهُ
فِي الْيَتِيمَانَا مِمَّنْ مُقْبَلُهُ السَّنْعُلُ

ويفرزما تقدّم ان السعي الى الإرتباط بهذا الأثر هو وسيلة ملحة تقتضي إعادة المحاولة بشتى السبل المشروعة للإرتباط بصاحبه مع التذكير بفضله ، وعليه كان أثر هذا النوع من التضرع يتماشى مع قول الفازازي الآتي في نعل النبي (ص) ، بوصفه أحد الشواخص التي يتواضع لها أفضل الناس احتراماً لفضل صاحبه وتعظيمه ، وهذا نابع من طبيعة المحبة الفطرية لسيد المرسلين " فمحبتة محبة هيبة وتعظيم واجلال ، لامحبة غرام ووجد ولوعة" (٩٨) ، قاتلاً بهذا الشأن : (٩٩)

فَلَا فَاضِلٌ إِلَّا مُقَرٌّ بِفَضْلِهِ عَمَائِهِمْ تَهْوَى انْخِفَاضاً لِنَعْلِهِ
وهذه البيادر الأندلسية وسواها التي تطرقت الى هذا الأثر النبوي هي ذاتها التي أفضت في مرحلة لاحقة الى قيام التأليف المنهجي المتمخض عنه ، كما هو الحال لدى المقرئ في مصنفه الموسوم : " فتح المتعال في مدح النعال".

وباختصار نقول : ربّما كانت دلالات (الرجاء الصادق) أحد أبرز العوامل التي أسهمت في استحضار المعاني الشوقية حسيّاً لغرض المديح النبوي ، ولاسيما بعد أن كان المكان المقترن بالرحلة اليه ، والأثر النبوي- في ضوء معالمه المطروقة أدبيّاً - موشوراً يعكس كل المعاني السامية كما بدت من الصور التي عرضتها التخميسات والأبيات الشعرية السابقة بعد أن كانت صدىً لما يجيش في النفوس التواقّة الى الحضرة النبوية قلباً وقالباً .

٢- البعد والقرب :

إذا كان لما سبق تفصيله تأثير بالغ على النفس ، ليترتب عليه إحساس فطري يتراوح بين البعد والقرب كما لمسنا ذلك من بعض الأوجه من قبل ، فهذا ما يجعل المعاني المنظوية تحت هذا اللواء تبدو أكثر عملية من الناحية التطبيقية للتجربة الشوقية في المجموع الشعري المدحي الذي تتجلى فيه دلالات (الرجاء و المعاناة) التي تتوزع بين هذه الثنائية ، وهذا ما أوجب الحديث عنها في هذا الموضع من الدراسة تحديداً ، إذ كثيراً ما كان البعد

المديني محفزاً للروح النفسي عما تُكَنُّه الذات لبقاعه من شوق أليم يعتصر الفؤاد والعين ،
 كما جاء في أحد التخميسات : (١٠٠)
 إِذَا كَانَ لِلأَقْوَامِ فِي الأَرْضِ نُجْعَةٌ فَمَا حَسَنْتَ لِي دُونَ يَثْرِبٍ بُقْعَةٌ
 وَلَا رَقَاتٍ مِنْ شَوْقِهَا لِي دَمْعَةٌ هَمَّتْ أَدْمُعِي شَوْقاً وَفِي الصَّدْرِ
 لَوَعَةٌ فَقلْبِي مَكْلُومٌ وَجَفْنِي أَمْرُهُ

وتطرح الأشكال القولية في هذا السياق ثمة تساؤلات متولدة عن ضرورة ، بعد أن يكشف جانب من هذا الأمر عن توجس شديد حيال البعد الذي قد لا يتوافر معه مبرر منطقي يذكر يطيل أمده ، مما يستوجب إظهار الأسف ازاءه بعد أن أصبح الفرد مشلولاً وعاجزاً عن الحركة تماما ، ولم يحالفه الحظ في مراده : (١٠١)

أَسِفْتُ لِخَوْفٍ قَدَّ قَلْبِي وَهَيْبَةٍ أَتَاهُمَا عَنْ طَيِّبَةِ طُؤُلٍ غَيْبَةٍ
 وَمَاذَا يُرْجِي بَعْدُ صَاحِبُ شَيْبَةٍ ضَنَيْتُ بِفَوْتِ الحَظِّ مِنْ طِيبِ
 طَيِّبَةٍ فَأَصْبَحْتُ وَفْأً لَا أَجِيءُ وَلَا أَمْضِي

وإذا كان قد كتب لصوت الشكوى أن يصدع من هذا الميدان فكان صداه رجاء وتمني على نحو ما جاء في بعض النماذج ، إذ بالوسع أن نلاحظ أن معاني العلة والإستطباب تبرز على هذا الصعيد بعد أن افادت في تقديم قيمة تعبيرية لاتخرج عن إطار إسناد دلالة ترجي (القرب / الوصال) ، من الحبيب كما قد يظهر في التخميس الآتي : (١٠٢)

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِ وَلَعَلَّمَا وَالْأَفْلا أَنْفَكَ دَهْرِي مُغْرَمَا
 حَلِيفَ أَسَى قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَا أَعْلَلَّ نَفْسِي بِالْوِصَالِ وَرَبُّمَا
 تَشَكَّى الفَتَى أَدْوَاءَ هُ وَهِيَ تَبْرَأُ

وسبق أن من المسلمات التي تفضي الى التقريب المقصود شد الرحال المشروع ، ولذلك يشغل (القرب/ الدنو) - بتعبير آخر لا يخرج عما سبق - حيزاً في موقف الذات الشاعرة من الوسيلة اليه بالرحلة بعد أن يكون جوهرها ، والذي يستدعي من منظور التعبير عن هذا العنصر رجولة من الأمنيات التي ربما تشير مجتمعة الى غايات واضحة مقصودة ، أو قد لاتفسر بعيداً عن معطياتها الثرة ، كما في المقطع الرابع من التخميس الثاني في أدناه وهو بيت القصيد ، ولاسيما وأن مقدار التراكم الدلالي ضمن مربع الرجاء (بشوق) لا يتناسب ظاهرياً (فحسب) مع الهدف منه الذي هو من وحي ثنائية الأمل واليأس ضمن هذا المضمار : (١٠٣)

وَلَمَّا غَدَا رَجُبُ الْهَوَى مُتَحَمَّلاً يَوْمُونَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْهِ تَبْتُّلاً
 وَخَلَفْتُ فِي الْأَخْلَافِ صَبَاباً مُقْتَلَاً عَكَفْتُ عَلَى أَمْدَاجِهِ مُتَعَلَّلاً
 بِيَتَزَادِهَا وَالْوَرُوقُ تَرْتَاخٌ لِلسَّجْعِ
 عَسَى نَبْهَةٌ مِنْ بَعْدِ نَوْمٍ وَعَفْلَةٌ عَسَى قَدَرٌ يَقْضِي بِسَاعَةٍ وَصَلَةٌ
 عَسَى رَحْمَةٌ تَأْتِي وَلَوْ بَعْدَ مُهْلَةٍ عَسَى دَارُهُ تَدْنُو وَلَوْ لَمَحَ
 مُقْلَةٌ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَأْمُولُ وَالرُّوحُ فِي النَّزْعِ

هذا ومرمعا ان لمراسيم تهيأ ومن ثم انطلاق أفراد الركب المرتحل الى الديار الشريفة إسهام كبير في تحريك المشاعرالوقادة بما يستدعيه التألم شوقاً من عدم الإلتحاق بهم حيث يقصدون ويأمنون بصورة أخرى فـ " هو شكل آخر من أشكال الإستدعاء إستدعاء الحنين والشوق" . (١٠٤) ، كما جاء في المثال أدناه : (١٠٥)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ نَازِلًا بِيُثْرِبِ حَيْثُ السَّبْدُ يَظْلَعُ كَامِلًا
 وَنُورِ الْهُدَى فِي الْأَفْقِ يَسْطَعُ مَائِلًا عَفَا اللَّهُ عَنِّي كَمْ أُشِيخُ
 رَاحِلًا إِلَيْهِ وَنَارُ الشُّوقِ دَائِمَةٌ اللَّذْعِ
 أُشِيخُهُ حِرْصًا عَلَى أَنْ أَكُونَهُ وَاتَّبَعُهُ دَمْعًا مَرِينَتْ شَوْئُهُ
 لِأَبْذُلَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ مَصُونَهُ عَدَمْتُ فَوَادًا يَأْلَفُ الصَّبْرَ دُونَهُ
 عَلَى عِلْمِهِ مَاكَانَ مِنْ حَنَّةِ الْجَدْعِ

ويبدو ان ما اختلج في القلب من أثر هذا السير(الغيري) إن صح التعبير - مع القعود عنه تخلفاً- (١٠٦) ترك الفرصة السانحة الى توافر التساؤل المشروع عن قيمة معنى التعليل بالرجاء في أن تحظى النفس باللقاء فحسب ، ثم ما هو جدوى العيش من دون الحبيب مع الإشفاق من إنقضاء الأجل بغتة من دون سابق إنذار : (١٠٧)

إِلَى كَمْ وَرَبِّي سَابِقٌ بِقَضَائِهِ أُعَلِّلُ قَلْبِي هَكَذَا بِرَجَائِهِ
 كَأَنَّ نِيَّ أَدْرِي مَا زَمَانٌ بِقَائِهِ قَبِّحُ بِمِثْلِي الْعَيْشَ دُونَ لِقَائِهِ
 وَإِنِّي مِنْ بَغْتِ الْمُنُونِ لَمْشْفِقُ

وقد لا يبدو المشتاق هنا في موقف سلبي ، فمن الإفرازمات الأخرى التي يطرحها هذا المشهد المؤثر الإلتفات الى النفس وتوجيه بعض الأسئلة الإنكارية التوبيخية ندماً (كالعادة) ، بعد أن زادت سطوة الغرام على النفس كلما تجدد القصد نحو(طبيبة) المنشودة ، بعد أن تجاوزت حدة المشاعرمرحلة إنشاء عالم وهمي داخلي يخفف من مستوى الإغتراب خارجياً الذي

لايقوم في أغلب حالاته على وفق وتيرة واحدة زمانياً ومكانياً " فالإعتراب ظاهرة تقوى وتضعف من حقبة الى أخرى وتنتشر في منطقة دون أخرى حسب الظروف والعوامل المختلفة والشاعر يخلق عالماً خاصاً به هو العالم المثالي الذي يطمح الى تكوينه هرباً من الواقع الذي لم يستطع التكيف معه " (١٠٨) ، على نحو ماجاء في النص في أدناه أو كاد بعد أن كان المطلوب فيه واقعياً فحسب ، فلاشيء سواه يشفي الغليل : (١٠٩)

وَمَاذَا أَرْجِي بَعْدَ ضَعْفِ وَشَيْبَةٍ وَلَا قَلْبَ مِنِّي يَسْتَسْتِيرُ بِتَوْبَةٍ
فِيَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ غُرُورٍ وَخَيْبَةٍ غُبِنْتُ حُطُوطِي مِنْ زِيَارَةِ طَيْبَةٍ
وَمَنْ لِي بِوَجْهِ فِي تَرَاهَا يَمْرَعُ
لَقَدْ سَفِهْتَ نَفْسِي لَقَدْ قَالَ رَأْيُهَا وَمَا صَحَّ لِي فِي قَصْدِ يَثْرِبَ وَأَيْهَا
فَهَا أَنَا لَا أَنْفُكَ مَا عَاقَ لِأَيْهَا غَرَامِي بِهَا يَزْدَدُ مَا زَادَ نَائِيهَا
فَعَيْشِي بِهَا أَهْنَا وَأَسْنَا وَأَرْفَعُ
عَرَامَ حَشَا قَلْبِي فَالهِ مَا حَشَا يَهِيحُ إِذَا مَا هَبَّ مِنْ طَيْبَةِ النَّشَا
وَيَفْشُو إِذَا مَا شِ يَوْمَلَهَا مَشَى غَضًا شَوْقَهَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
فَيَلْفَحُ أَحْيَانًا فُوَادِي وَيَلْدَعُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ مِلْمَةٌ وَأَمْرِي إِبْهَامَ عَلَيَّ وَغَمَّةُ
أَتَهْضُ بِي نَحْوَ الْمَدِينَةِ هِمَّةُ غَلِبْتُ عَلَيْهَا وَالشَّوَاغِلُ جَمَّةُ
فِيَالْيَتَنِي أَدْرِي مَتَى أَتَفْرَعُ

وفي تقنية أخرى من حقل الإعتراب ، قد يُنقل لنا مقطع الحدث المؤلم من مكان الحدث نفسه بعد أن أصبح (الذكر/ المقام النبوي) غير المقترن بالحركة (السيراليه) ، مع تسليط الضوء على مشهد السائرين الى قبره الشريف أمراً مسوّغاً لذلك الشجن المتجدد الذي لف القلوب: (١١٠)

وَمِمَّا شَجَانِي عِنْدَ تَجْدِيدِ ذِكْرِهِ شَجَانِي قَعُودِي دُونَ زُورِ قَبْرِهِ
فَعَمَّ قَاعِدٍ يَدْنُو إِلَيْهِ وَلَمْ يَمَشْ
قَلْبِهِ مَا أَشْكُو مِنْ لَوْعَةِ الْجَوَى لَقَدْ أَنْحَلْتُ جِسْمِي لَقَدْ هَدَّتْ الْقَوَى
فَقُلْتُ وَصَدْرِي ضَيِّقٌ بِالذِّي حَوَى شَكُوْتُ النَّوَى وَالْحَالُ عَوْنٌ عَلَى
النَّوَى وَهَلْ طَارَ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِينَ مِنْ عَشْ

على ان هذه النظرة المادية لم تكن الوحيدة في ظل إطارها ، كما تقدم معنا في هذه الدراسة وماسياتي كذلك ، وهذا أمر بيدهي لدى أغلب الشعراء ، فليس باليد حيلة أمام هذا الحال المتأزم من النوى و العجز عن تخطيه سوى الإخلاص الروحي في العزيمة الى الزيارة المرتقبة على وجه العموم ، بعد تسخيرات الفؤاد لهذا الغرض النبيل : (١١١)

وَلَمَّا رَأَتْ الْحَاظُ قَلْبِي نُورَهُ قَبَضْتُ عَنَانَ الْأَنْسِ حَتَّى أُرْوَهُ
صَدَقْتُ الْهَوَى قَلْبِي فَلَمْ أَرْضَ زُورَهُ وَأَخْلَصْتُ فِي حُبِّ الرَّسُولِ
ضَمِيرَهُ فَهِيَ أَنَا مَبْسُوطُ الْهَوَى مُتَشَوِّقُ

ويطرح التعميم المنصرف من (الزيارة = القرب) متغيرات لبعض المفاهيم الإصطلاحية ولاسيما بعد أن شهدت طبيعة الموازين تغيراً ملحوظاً صدر عن فاعلية (الفقد) في بيئة الوجد ف : (١١٢)

عَلَى كُلِّ صَبٍ أَنْ يَمُوتَ بِوَجْدِهِ نَزُوعاً إِلَى قَبْرِ الرَّسُولِ وَقَصْدِهِ
دَهْتَنِي اللَّيَالِي بِالدَّوَاهِي لِفَقْدِهِ خَبِرْتُ زَمَانِي وَالْمَكَانَ بِبُعْدِهِ
فَيَوْمِي عَامٌ فِيهِ وَالشَّيْبُ فَرَسَخُ

وضمن إطار القول في هذا الجانب الذي تخيم عليه أجواء الشوق ، يبدو أن مفاهيم الغياب والبعد تأخذ بالتلاشي أيضا إزاء عظم التشوق الى المبتغى بحرارة ولهفة ، بما يستدعيه من عقيدة وعزم منقطع النظير ، كما جاء في التخميسين الآتيين في أدناه : (١١٣)

لئن غابَ عَنَّا إِنَّهُ غَيْرُ غَائِبٍ وَمَسْكَنُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالْتَرَائِبِ
فِيَا لَيْتَنَا قَبْلَ اخْتِطَافِ النَّوَابِ حَفَقْنَا بِذَلِكَ الْقَبْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
لِنُرَوِيَ بِمَرَّاهُ مِنَ الظَّمَا الْبَرَحِ

أَقَمْنَا وَنَارَ الشَّقْوَى تَذْكِي تَلْهُباً وَرُمْنَا إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحُكْمَ قَدْ أَبَى
وَلَوْ قَدْ وَجَدْنَا نَحْوَهُ مَذْهَباً حَشْنَا إِلَيْهِ الْعَيْسَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
سِرَاعاً إِلَى أَنْ نَذْرِكَ اللَّمْعَ بِاللَّمْحِ

ويظهران السبيل الى بعض ماتقدم بيانه قد تم عن طريق أجواء ما يشبه الرحلة الروحية التي لاتقاس بالمقاييس الوضعية للإصطلاحات الموضوعية ، فهي أسمى من ذلك وأرفع : (١١٤)

لَأَحْمَدَ أَضْحَى الْقَلْبُ مِنِّي جَانِحاً أَرَاهُ عَلَى قَرْبٍ وَإِنْ كَانَ نَزَاجِحاً
قَطَعْتُ لَهُ بِالذِّكْرِ دَهْرِي مَادِحاً طَوَيْتُ عَلَى شَوْقِي إِلَيْهِ جَوَانِحاً

ولعل من أبرز ما نجم عما تقدم من نواتج عن البعد عن الحضرة النبوية ، الوقوع ضمن دائرة الشكوى من فقدان والتي لن يطيب العيش بها لأحد ، فكيف بمن غمره الحب ، بل ليست هنالك بوادر إعادة حقيقية للحياة الرغيدة من دونه (ص) ، وهذا أمر مستوحى من عالم الشوق ، ولكن يغلب على اخراجه طابع مقدس غير بعيد عن مبدأ الإصطفاء والعناية الإلهية وهذا ما يعزز جانباً من جوانب التعبير في النص الآتي : (١١٥)

لَقَدْ دَلَّ إِسْرَاءَ إِلَهِهِ بِعَبْدِهِ عَلَيَّ أَنَّهُ قَدْ خُصَّ مِنْهُ بِوَدِّهِ
مَحَالٌ لِعَيْشِي أَنْ يَطِيبَ لِفَقْدِهِ حَرَامٌ عَلَيَّ قَلْبِي سَلْوُ لِبُعْدِهِ
وَإِنِّي لِحِرَانِ الْجَوَانِحِ بِالنَّضْحِ

وتبقى أهمية هذا فقدان المعروض حاضرة بوصفه مصدراً من مصادر الإشارة الى دلالة البعد ضمن إطار الغرض الشوقي (الديني) بعد أن ارتبط- فضلاً عما تقدم- بغياب الدواء الشافي الذي تتعافى به الأبدان ، وتعمر بها الأوطان متمثلاً بشخص النبوة ، ولذلك كان أثره جسيماً على النفس المحرومة وقد مرّ الوقت عليها ، فالشكوى منها الى الله عز وجل من أضعف الإيمان ، وكذلك تعزيتها بهذا المصاب الجلل : (١١٦)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ظَلْمَ نَفْسِي وَحُوبَهَا إِذَا اسْتَحْسَنْتَ بِالْبُعْدِ عَنْهُ غُيُوبَهَا
وَلَوْ قَدْ أَتَتْهُ كَانَ حَقًّا طَبِيبَهَا فَقَدْ نَاهُ فُقْدَانِ الصُّدُورِ قُلُوبَهَا
عَلَيَّ أَنَّنَا بِالذَّمْعِ وَالذُّكْرِ نَسْتَشْفِي
فَقَدْ نَاهُ يَشْفِي كُلَّ دَاءٍ لَنَا عَيَا يَخُضُّ عَلَيَّ الْإِخْلَاصِ يَنْهَى عَنِ الرِّيَا
يَصُدُّ عَنِ الْفَحْشَاءِ يَأْمُرُ بِالْحَيَا فَأَجْفَانُنَا أَهْمَى دُمُوعًا مِنَ الْحَيَا
وَأَحْشَاؤُنَا أَحْمَى ضُلُوعًا مِنَ الرُّضْفِ

وليس هذا فحسب بل تتوافر في هذا الميدان الأليم الكثير صور المعاناة القلبية من البعد عن الممدوح بشوق منها ما يبلغ الى الحد الذي بات الطريق الى اللقاء خياراً مفتوحاً للسلوك سواء بالحياة أم بالموت الذي هو في الحب خلود روحي ، كما جاء في أحد التخميسات : (١١٧)

لَقَدْ مَسَّنَا طَوْلُ الْفِرَاقِ بِنَضْبِهِ فَصِرْنَا نُحِبُّ الْمَوْتَ ضَيْقاً بِكَرْبِهِ
فَيَا لَيْتَنَا مِتْنَا احْتِرَاماً بِحُبِّهِ يَسِيرٌ عَلَيْنَا الْمَوْتُ فِي جَنْبِ قُرْبِهِ
وَمَنْ قَصَدَ الْمَحْبُوبَ لَمْ يَسْأَلِ الْبُقْيَا

ويبدو أنّ لظرفي البعد والقرب وجه دلالية واحدة صوب القصد الشريف ، فقد بدا القرب في الكفة الثانية من هذه الثنائية غير الضدية يعكس طبيعة البعد بأشواطه المحفزة على التعبير، إذ لم يكن منفصلاً عن الفضاء العام لهذه الثنائية التي لا يصح الحديث عن الشوق قديماً وحديثاً من دونها ، ولذلك كانت (الدعوة الى القرب المنشود= نبذ البعد) دعوة حقيقية تتشارك في ادراكها الحواس كافة بعقد العزم على الرحلة الى بلاد النور والعدل ، كما هو حال مواطن الأنبياء والمرسلين : (١١٨)

صَبَوْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَذُو اللَّبِّ لَا يَصْبُو
وَعَرَّكَ مِنْهَا السَّلْمُ بَاطِنُهَا حَرْبُ
فَذَرَهَا وَشَرِّقْ لَا يَقْرُبُ بِكَ العَرْبُ
بِئْتَرِبْ نُورٌ لِلنُّبُوَّةِ لَا يَخْبُو
تَشَارَكَ فِي إِدْرَاكِهِ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ

بِهِ فَاسْتَتِرْ إِنْ تَنْتَهَضَ بِكَ هِمَّةٌ
وَلَا تَسْتَقِصْ مِنْ دُونِهِ لَكَ عَزْمَةٌ
فَكُلُّ ضِيَاءٍ دُونَهُ فَهُوَ دُهْمَةٌ
بَدَا وَيَقَاعُ الأَرْضِ ظُلْمٌ وَظُلْمَةٌ
وفي مقتربات أخرى أظهرت بعض البواعث الشوقية تقليداً لما سبق اليه الشعراء العرب فجرباً على عاداتهم ارتبط انبعاث وميض الضوء برقاً من تلك الديار النبوية بالشوق القلبي اليها ، الدافع الى التعلق ببديل مرجو — ادم منه ، حيث جاء في أحد التخميسات القول : (١١٩)

فِيَا لِفَوَادٍ عَزَّ وَجَنَّهُ اصْطَبَارِهِ
تَذَكَّرَ مَنْ يَهْوَى فُذَابَ بِنَارِهِ
وَمَهْمًا احْتَمَى شَوْقًا لِقَرْبِ مَزَارِهِ
عَشَوْتُ لِشَرِّقِ لَائِحِ مِنْ دِيَارِهِ
وَمَنْ فَقَدَ المَحْبُوبَ حَنَّ إِلَى الرَّبْعِ

وغالباً ما قادت العاطفة الجياشة الى تمنى تيسير القرب الزماني والمكاني للنفس في آن واحد من الحبيب ولاسيما مع المرتحلين العاقدى العزم على الدوام صوبه من كل ناحية : (١٢٠)

فَكَمْ وَجَنَّةٌ دُسْنَا هُنَاكَ وَجَبْهَةً
بِأَخْفَافِ إِبْنَلٍ أَوْ سَنَابِكِ جَبْهَةً
بِحَاهِ المُعَلَّى فَوْقَ نَسْرِ وَجَبْهَةً
رَكَائِبُنَا أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةً
حَنِينًا إِلَى السَّبِيْتِ المُطَهَّرِ والقَبْرِ

لَأَرْسِخَ أَهْلَ الأَرْضِ عِلْمًا بِرَبِّهِ
لِمَنْ لَيْسَ فِي الأَعْمَالِ شَيْءٌ
كَحُبِّهِ

فِيَا وَبِحَنَّا وَالمَرْءِ يُقْصَى بِذَنْبِهِ
رَجُونَا مُوَاتَاتِ اللَّيَالِي بِقُرْبِهِ
فَضَنْتُ بِهِ وَالمَخْطُبُ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ

عَسَى بَعْدَ حَالِ الْعُنْسِ يُسَرُّ بِدُودِهَا فَيَقْرُبُ مِنْ دَارِ الْحَبِيبِ بِعِيدِهَا
وَمَهْمَا طَلَبْنَاهَا فَعَزَّ وَجُودُهَا رَجَعْنَا إِلَى أَمْدَاحِهِ نَسْتَعِيدُهَا
فَهَا نَحْنُ نَسْتَشْفِي بِهَا أَمَدَ الدَّهْرِ

ولهذا كان للتقرب من فضاء النورخاصية تفيد الشفاء للقلب الجريح بظلام البين ، بعد أن إنعدم فيما سواه ، قال الفازاري : (١٢١)

أَلْهَفِي لِقَلْبِ لِطَبِيبِ لِدَائِهِ سِوَى الْقَرَبِ مِنْ نَوْرِ الْهُدَى وَضِيَائِهِ
وهذا ما قد يفسر شيئاً ما بقاء الأمل قائماً في أن يكتب الشفاء للنفس بالقرب بإصرار ، بعد أن عزَّ مطلباً في التخميس الآتي : (١٢٢)

تَضِيقُ بِي الدُّنْيَا الْفَسِيحُ مَجَالُهَا وَنَفْسِي لِطُولِ البُعْدِ قَدْ سَاءَ حَالُهَا
وَأَسَى بِغَيْرِ الْقَرَبِ يَنْعَمُ بِأَلْهَا شِفَاءً سِقَامِي زُورَةً لَوْ أَنَا لَهَا
وَإِنِّي لِأَرْجُوهَا وَلَوْ كُنْتُ فِي النِّعْسِ

ومن البديهي أن يترتب على ذلك ما مفاده ان القرب من الصادق الأمين كان من أولى الأوليات لدى المحب إذا ماتمَّ التخيير بين الدنو منه ، والنوى عنه (١٢٣) ، ولاسيما بعد أن ترسخ في الإعتقاد المطمئن أنه " قريب وإن شطت عليه المفاوز " (١٢٤) ، ومن هذا المعنى قول الفازاري : (١٢٥)

لَقَدْ أَشْرَبَ الْإِيمَانَ قَلْبِي حُبَهُ فَإِنْ قِيلَ لِي مَا تَشْتَهِي قُلْتُ قُرْبَهُ
أَصَافِحْ مَعْنَاهُ وَأَلْتَمُ تَرْبَهُ كَذَا فَلْيَكُنْ مِنْ قَدَسِ اللّٰهِ قَلْبَهُ

وهذا ما يبعث على القول جزماً باصطباح دلالة الشوق بصبغة دينية ملموسة نصياً من غير مغالاة تذكر ، ولاسيما بعد أن نهلت باعتدال من معين مزايا وشمائل الشخصية النبوية المحمدية الشريفة ، بعيداً عن الآراء الفلسفية التي تقوم عليها فكرة (الحقيقة المحمدية) (١٢٦) التي حدثت ببعض المستشرقين ومن لف لفهم الى التحامل على هذه الشخصية من هذه الزاوية (١٢٧) . جاء في أحد التخميسات القول : (١٢٨)

نَأَى فَنَأَى صَبْرِي وَأَكْنَدَى تَجَلُّدِي وَلَاشِيءَ إِلَّا الْقَرَبُ يَا خُذْ بِالْيَدِ
وَيَمْحُوْ ذُنُوبِي يَوْمَ نَشْرِي لِمَوْعِدِ كِبَائِرُنَا تُمَحَى بِجَاهِ مُحَمَّدٍ إِذَا
طَاشَتِ الْأَلْبَابُ فِي الْمَوْقِفِ الضَّنْكَ

ويبدو أن منطق إسناد هذا التعلق الفطري بالدلائل القاطعة للشك أوجت بتوظيف قيم معرفية منها إستذكار حادثة الإسراء والمعراج الشهيرة ، ذلك أن فيها ثمة مغزى يفيد دلالة

القرب المتحققة يقيناً في تلك الليلة العظيمة ، كما أشار اليها القرآن الكريم في أكثر من موضع (١٢٩) ، بوصفها عنواناً سنياً من عناوين الدنو : (١٣٠)

تَلَقَى الْهُدَى عَنْ جِبْرِئِيلَ تَلْقِيَا وَقَدْ كَانَ يَأْبَى الشَّرْكَ قَبْلُ تَوْقِيَا
وَلَمَّا دَنَا لِلْحَقِّ بِالْيَدِ مُلْقِيَا نَأَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنَّا تَرْقِيَا
فَكَانَ دُنُوًّا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

فَلِلَّهِ ذَلِكَ النَّوْأَى إِذْ يَدْنَى بِهِ لِمُمْرِضِهِ مَهْمَا اشْتَكَى وَطَبِيهِ
تَدَانِي أَوَاهِ الْفُؤَادِ مُنِيْبِهِ نَفْسِي نَوْمَةً تَأْمِلُ قُرْبَ حَبِيْبِهِ
فَأَقْلَقَ مِنْهُ الْقَلْبَ إِذْ أَرَقَّ الْجَفْنَا

ولا يخفى أثرصور هذه الحادثة في هذا الشأن ، إذ يطالعنا السياق التصويري الذي يردف أحقية التوجه بمشاعرالتشوق الى النبي وقربه ، بالإشارة الى حال ملائكة السماء وهي التي كانت على أهبة الاستعداد للقائه والسلام عليه في جو مهيب في تلك الليلة المباركة بعد أن ثبت وتعمم أمر تعظيمه علوياً : (١٣١)

ذَكَتْ نَارُ أَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَمَا خَبِثَ وَلِمَ لَا وَايَ نَفْسٍ سِوَى حُبِّهِ أَبِثَ
وَتَعْظِيمُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُوُّ قَدْ ثَبِتَ مَلَائِكَةُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ تَأَهَّبَتْ
لِإِسْرَائِيلَ كُلُّ عَلَيْهِ يُسَلَّمُ

ولامشاحة من أن يقدم هذا الجنس من المعاني الدينية أيضاً موقف المعذب بالبعد المتمضخ عن خليط من الرجاء والدعاء ، ولاسيما الرجاء الأثير من الله عز وجل في طلب القرب ، بعد الدعاء منه تعالى على الزمن الذي لم يشف الغليل في لم الشمل ، وبالأخص بعد أن كان غريماً تقليدياً بين الأحبة يحول دون لقاء بعضهم بعضا يستوجب الدم على صنيعه هذا(١٣٢) جاء في أحد التخميسات : (١٣٣)

عَسَى رَحْمَةُ الْمَوْلَى تُقَرِّبُ بَيْنَهُ فَيَقْضِي فُؤَادِي لِلْهَوَى فِيهِ دَيْنَهُ
وَيُذْهِبُ نَقْصَ الْبُعْدِ عَنْهُ وَشَيْنَهُ لَحَا لَلْهُ وَقَفْتَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَمَرَبَعُهُ قَتِيظٌ وَصَيُّبُهُ مَحْلٌ

وعلى وتيرة هذه السلسلة قد يأتي الموقف من الزمن على وفق تصورحسي آخر، بعد أن تعلق (الرجاء القلبي) به وهو يستعرض من أثراللواعج الملحة جانباً حسياً من صور الخلود الزمنية في عالم أصحاب النعيم المقيم المقربين الأبرار : (١٣٤)

عَسَى زَمَنٌ يَدْنُو بِهِ وَلَعَلَّهُ وَإِلَّا فَالْقَلْبِي لِلفِرَاقِ مُدَلَّهُ

فَطَوَّبِي لِعَبْدٍ فِي إِلَهٍ أَجَلُهُ زَرَابِي دَارُ الْخُلْدِ مَبْنُوثَةٌ لَهُ
وَأَنْرَابُهَا شَوْقًا إِلَيْهِ بِتَوَارِزُ

ومن موجبات هذا التعلق ألا يفقد الأمل ضمن هذا الحيز الذي قد يصدق أن يقال فيه :
يتصارع الأمل مع اليأس ، ولاسيما بعد طرح الفازلي وجهة نظر إزاء هذه الثنائية في
ترجيح كفة الأمل على غيره في الموازنة القائمة بين الإثنين ، قائلا بهذا الصدد : (١٣٥)
وَلَا يَأْسَ إِنَّ الدَّهْرَ آتٍ وَذَاهِبٌ وَقَدْ تَصَدَّقُ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ كِذَا بِّ
وَالْإفْكَمُ مِنْ حَاضِرٍ وَهُوَ غَائِبٌ ضَعَفْتُ عَنِ الْكُلِّ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ
وأغلب الظن ان تبلور ونضوج هذه الفكرة جاء في ضل منهاج على ما يبدو سارت عليه
الأقدام بخطى وثيقة عن قناعة ، إذ لم يرضخ في أحلك الظروف والمراحل التي يمر بها
الهائم المشتاق بحق اليأس المطلق ، كما صدر البيان في التخميس الآتي الذي نتلمس
فيه دعوة ضمنية الى ما يفترض أن يكون عليه طالب القرب على نحو واقعي بعد أن كان
على غير موعد مع الفرج الذي لم يأت بــــعد ليل حالك طويل ما له من إصباح
مرتقب : (١٣٦)

وَلَمَّا دَجَا لَيْلُ الشُّجُونِ وَعَسَّعَسَا وَلَمْ أَرِ لِإِصْبَاحٍ فِيهِ تَنْفُسَا
وَحَابَ رَجَائِي فِي لَعَلِّ وَفِي عَسَى قَسَمْتُ فَوَائِدِي بِسَيْنِ شَوْقِي وَالْأَسَى
كَذَاكَ يَكُونُ الْمُسْتَهَامُ الْمُحَقَّقُ

وهذا الصنيع له أكثر من غاية تفيد عزاء (النفوس / الفؤاد) ، في هذه المرحلة الحاسمة
التي تتطلب الصبر على العهد المقطوع من أجل الوصل ، قال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) : " ولا
بدَّ للمُحِبِّ إِذْ حَرَمَ الْوَصْلَ مِنَ الْقَتْوِ بِمَا يَجِدُ ، وَإِنْ فِي ذَلِكَ لِمَتَّعَلًّا لِلنَّفْسِ ، وَشُغْلًا لِلرَّجَا
وتجديداً للمنى وبعض الراحة ". (١٣٧)

الخاتمة :

نامل أن تهدف هذه السطور التالية مجتمعةً الى إظهار أبرز نتائج البحث الناجز حالياً ، إذ
سجل المكان المديني حضوراً بعد أن ارتبط بمعطيات كانت الرحلة الأثرية صوبها تفرز
محمولات وجدانية تفضي الى التعلق الذاتي بالمدوح الذي هو السر في أن يكتب الخلود
لمصلحة الغرض الشعري ، وعلى وجه التحديد هنا المديح النبوي ، من نحو: التمني ،
وحب أهل المكان ، والوقوف مع تأنيب النفس ، وإزجاء التهاني للركب المرتحل الى صاحب

المقام وإرسال السلام اليه في محطات تثب مزيجاً من القيم الشوقية الحاضرة والتعويضية عن الغياب ، ولا سيما بعد ان كانت هنالك ثمة صُعد تم تكريسها على انها بيئة فاعلة تشع دلاليّاً في ضوء النصوص ، إذ يتحول فيها المكان والأثر جغرافياً إلى مصدر تجد فيه النفس ضالتها بإختصار ، وهذا بالتأكيد يرفع من شأن صاحبه المُفدَى ، بعد أن صارت مجعاً ومعرضاً لشمائله التي لم تكن مجرد مزايا فحسب بل وتقضي بمجملها الظفر والفلاح ، وهذا بالطبع بعد الإستناد على النظرة الدينية الفطرية في هذا المجال العقائدي الروحي ، وملامح التعاضد الفكري بين النصوص في هذا الجانب قد تشكّل حلقة من حلقات التغذية العائدة بفائدة التذكير بشخص النبوة حتى لاتغيب عن الأذهان ، وهذا مظهر من مظاهر الوفاء له (ص) اقتضى تكثيف مفهوم التجرد البشري بصور اللثم والتمرغ إزاء آثار من اصطفاه الإله من خلقه .

ولم يكن البعد والقرب أقل شأنًا أو اخف أثراً مما تقدّم ، بعد أن سلك نهجاً أفاد تبلور قناعات لازمة للمضي قدماً في سبيل تقليص الفجوة القائمة بين مدى الداليتين والتوحد في الهدف ولاسيما وان علامات البعد : (البكاء ، الجرح ، فقدان ، القلق...) كانت تنشد مؤكدة دلالات القرب : (العتاب الذاتي ، التمني ...) بعد أن كانت هنالك إرهافات لهذا التجاوز الحتمي المقرر، منها كما يبدو :

١- قيام رحلة الروح(العنصر البديل المراد) ، مع بقاء الجسد مائتاً ، هذه الرحلة المؤطرة بأسمى آيات الرجاء ، مع ما يفترض أن يكون عليه المرء فيها من صدق في العزيمة الى المقصد الى حد الموت ، والقناعة ، فهي صفات الفناء في هذه الرحلة التي لم يشأ لها التوقف بل التوفيق ، وفي ذلك إشعار للمتلقي بمنزلة الموصول انبثق من طبيعة الشوق له والتي لم تقع -في حدود تصورنا- في دائرة التناقض بين التنظير والتطبيق .

٢- إستثمار الواقعة القرآنية بسياقها الزماني والمكاني ، وذلك من أجل استذكار الدنو المتحقق المشحون بالأمل في ضوء المقتربات المعرفية المتوافرة التي تعمل على تقليص الهوة بينه وبين البعد القائم على أرض الواقع .

وبذلك تبين ان الشوق في ديوان الوسائل المتقبلة بدا بمظهر سحر طاقاته ضمن إطار غرض المديح النبوي في المجموع الشعري .

الهوامش والإحالات :

- *الأدب في بلاد الشام - عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د . عمر موسى باشا ، دار الفكر المعاصر - بيروت (باشتراك) ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٤٦٦ .
- ** فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، د . عمر ابراهيم توفيق ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ع ١ ، م ٥ ، السنة الخامسة ، ٢٠١٠ ، ص ١٤ .
- (١) تحفة القادم ، ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) ، أعاد بناءه وعلق عليه : د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ١٩١ ، و المقتضب من كتاب تحفة القادم ، إختيار وتقييد : أبي اسحاق البلقيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني (باشتراك) ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٥ .
- (٢) برنامج شيوخ الرعيني ، أبو الحسن الرعيني الاشبيلي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق : إبراهيم شيوخ مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ١٠١ .
- (٣) تحفة القادم ، ص ١٩١ ، والمقتضب ، ص ١٨٥ .
- (٤) غرباء القسم الثاني من صلة الصلة ، ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) (منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة ، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح : د . محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (د . ت) ، ص ٥٤٢ .
- (٥) آثار أبي زيد الفارازي الأندلسي - نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة ، بيروت - دمشق ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٧-٨
- (٦) الذيل والتكملة ، ص ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٦٢ .
- (٧) برنامج الرعيني ، ص ١٠١-١٠٢ .
- (٨) نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ) ، ج ١ - ٢ ، إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٤٠ .
- (٩) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (١٠) نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٠ .
- (١١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المقري (ت ١٠٤١ هـ) ، ج ٥ ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٥٥ .
- (١٢) نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .
- (١٣) نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٥٥ .
- (١٤) نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .
- (١٥) غرباء القسم الثاني من صلة الصلة ، ص ٥٤٢ .
- (١٦) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢-١٠٣ .
- (١٧) م . ن ، ص ١٠٢ .

- (١٨) تحفة القادم ، ص ١٩١ ، والمقتضب ، ص ١٨٥ . وللوقوف على ترجمة وبعض أخبار أخيه القاضي أبي عبد الله الكاتب ينظر لطفا : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، س ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٦٢-٣٦٤ ، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تح : محمد سعيد العريان ، مط شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٩١ ، ص ٤٠٦ .
- (١٩) المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) ، ج ١ ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط ٤ ، (د.ت) ، ص ١١٨ .
- (٢٠) نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٠ .
- (٢١) آثار أبي زيد الفاززي الأندلسي ، ص ١٤ .
- (٢٢) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (٢٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ، م ٣ ، تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ص ٥١٨ .
- (٢٤) ما قبل هيكلية الزوايا بالمغرب : الطوائف الصوفية خلال مرحلة الإنحلال الموحدية ، د . محمد الشريف ، المملكة المغربية ، وزارة الثقافة . (انترنت)
- (٢٥) المرابطون والأندلس ، د . داود عمر سلامة ، دار الكتاب الثقافي ، إريد ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٧٨ .
- (٢٦) فجر الأندلس ، د . حسين مؤنس ، دار الرشد ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٣ .
- (٢٧) تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، ابن صاحب الصلاة (ت ٥٧٨ هـ) ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٢ .
- (٢٨) في الأدب الأندلسي ، د . جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) ، ص ٥٧ .
- (٢٩) ينظر : الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة ٦٣٥ - ٨٩٧ هـ) ، إعداد : مها روي إبراهيم الخليلي (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية فلسطين ٢٠٠٧ ، ص ١١٨ ، وص ١٢١ لظفا .
- (٣٠) في تاريخ المغرب والأندلس ، د. أحمد مختار العبادي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٣١٩ .
- (٣١) تاريخ المن بالإمامة ، ص ٢٥ .
- (٣٢) دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، د. سوادي عبد محمد ، د . صالح عمار الحاج ، المكتب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٦٧ .
- (٣٣) موسوعة الحضارة الإسلامية ، العصر الأندلسي ، د. قصي الحسين ، دار البحار ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٥٨ .
- (٣٤) نظم العقدين في مدح سيد الكونين لإبن جابر الهواري الأندلسي ، د . محسن جمال الدين ، مجلة البلاغ الفكرية ، ع ٨ ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٤٦ .

- (٣٥) المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الراقدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ع ١٣ (عدد خاص بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة) ، ١٩٨١ ص ٤٥٥ .
- (٣٦) ينظر: فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، ص ١٤-١٥ .
- (٣٧) يراجع البحث الموسوم : المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية ، د. فيروز الموسى ، (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني - انترنيت) .
- (٣٨) مقدمة إن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ، (روجعت هذه النسخة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء) ، دار الفكر ، (د . ت) ، ص ٥٧٥ .
- (٣٩) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، التجيبي (ت ٥٩٨ هـ) ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٦ ، وللوقوف باستزادة على طبيعة العصر ، ينظر : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، د . يوسف بن علي بن ابراهيم العريني ، (سلسلة الاعمال المحكمة ٧) الرياض ، ١٩٩٥ . (انترنيت) .
- (٤٠) الإحاطة في أخبار غرناطة ، م ٢ ، ص ٤١٨ .
- (٤١) م . ن . ص ٤١٨ - ٤٢١ - ٤٢٦ .
- (٤٢) ديوان الوسائل المتقبلة (الغلاف).
- (٤٣) آثار أي زيد الفاززي الأندلسي ، ص ١٥ .
- (٤٤) الإحاطة ، م ٣ ، ص ٥١٩ .
- (٤٥) آثارأي زيد الفاززي ، ص ١٦ .
- (٤٦) مقدمة ديوان الوسائل المتقبلة ، ص ٢-٣ .
- (٤٧) آثار أبي زيد الفاززي ، ص ١٦ .
- (٤٨) النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم) لمحمد بن مسنن البرنوي ، تأليف : محمدعبريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط ٢ (معتنى بتقيحها وتصحيحها) ٢٠٠٧ ، ص ٨ .
- (٤٩) الإحاطة ، م ٣ ، ص ٥١٩ .
- (٥٠) ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة : د . منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب - الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ٨ (الهامش رقم ٤) .
- (٥١) ديوان الوسائل المتقبلة (ط المطبعة الميمنية) ، ص ١٨٧ .
- (٥٢) آثارأي زيد الفاززي ، ص ١٦ .
- (٥٣) نفسه .
- (٥٤) الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، د . نور الهدى الكتاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٩ .
- (٥٥) ينظر: نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٠ .

- (٥٦) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (٥٧) غرياء القسم الثاني من كتاب صلة الصلة ، ضمن كتاب الذيل والتكملة ، ص ٨ ، ق ٢ ، ٥٤٢ .
- (٥٨) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (٥٩) الإحاطة ، م ٣ ، ص ٥١٩ .
- (٦٠) نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٠ .
- (٦١) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ، تحقيق : إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٥٠ .
- (٦٢) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (٦٣) الإحاطة ، م ٣ ، ص ٥١٩ .
- (٦٤) القصائد العشرية ، أبو زيد الفازلي الأندلسي ، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي المكتبة الشعبية ، بيروت . (د . ت) ، (المقدمة) .
- (٦٥) برنامج الرعيني ، ص ١٠٣ .
- (٦٦) ينظر آثار أبي زيد الفازلي ، ص ١٧-١٩ .
- (٦٧) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .
- (٦٨) م . ن ، ص ١٠٣ .
- (٦٩) الإغتراب في الشعر الأموي ، د. فاطمة حميد السويدي ، الناشر : مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ١٩٦ .
- (٧٠) ديوان الوسائل المتقبلة ، ص ١٠٨ ، وفيه: " يرنو: يديم النظر " . و " يتنشَّق : يشم " . النوافح العطرية ص ٢٨٧ .
- (٧١) القاضي عياض الأديب (الأدب العربي في ظل المرابطين) ، عبد السلام شقور ، دار الفكر المغربي ط ١ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٢٨ .
- (٧٢) الديوان ، ص ٢٢ .
- (٧٣) م . ن ، ص ١٠٢ .
- (٧٤) م . ن ، ص ٤١ . تسم : تؤثر وتقطع ، العقيق : واد بظاهر المدينة . منوخ : مبارك ، والمراد به المدينة المشرفة . النوافح العطرية ، ص ١٠١ .
- (٧٥) ينظر : م . ن ، ص ١٠٢ لطفاً .
- (٧٦) م . ن ، ص ١٤٢ .
- (٧٧) م . ن ، ص ٢٣ .
- (٧٨) م . ن ، ص ١١٢ ، وفيه: " المغذ : المسرع ، قصاري : غاية جهدي " .
- (٧٩) م . ن ، ص ٨ . وفي النوافح العطرية ص ٢١: ورد الحبيب بدلاً عن المحب . ولأحلاً : لا أطرده ولا أحبس .

- (٨٠) الرواية والمكان ، ياسن النصير، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٥٧) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ ، ص ١٧-١٨ .
- (٨١) الديوان ، ص ٧٦-٧٧ ، وفيه : "كرع في الماء تناوله بفيه من موضعه " ، و "جرعة : حسوة : أي شربة" . النوافح ص ٢٠٤ .
- (٨٢) م . ن . ص ٨٠ ، وفي النوافح ص ٢١٤ : "مصوبا : نازلا وقاصدا" .
- (٨٣) م . ن . ص ١١٣-١١٤ ، وفي النوافح ص ٣٠١ : "أس : أصل ، كريم يعني أمه ، ومن سمك : سقف يعني أباه ."
- (٨٤) م . ن . ص ١٠٨ ، وفيه : "أنقَدَ : أنشَقَ" .
- (٨٥) ص ٦٧ . وفيه : "من برحائه : البرحاء : شدة الكرب" ، ومن النوافح : " من برحائه : من شدة قربه او مرضه أو مشقته" . ص ١٧٦ .
- (٨٦) م . ن . ص ٩٣ ، وفي النوافح ص ٢٤٩ : وردالكروب بدلاً عن الكرب ، و"اقتراحها : سؤالها أوجبها" . ص ٢٤٩ .
- (٨٧) م . ن . ص ٩٢ . وفيه : " اللمظ : لعق الشفتين باللسان " . أو بمعنى آخر: " ذواق الماء بطرف اللسان " كما قال التيجاني صاحب النوافح العظيمة . ص ٢٤٧ .
- (٨٨) م . ن . ص ١١١ .
- (٨٩) م . ن . ص ١٣١ .
- (٩٠) م . ن . ص ١٣٤ ، وفيه : " المهزول ، والمفوه : المطيب" . وفي النوافح بزيادة : " من فاء يفوه ، اذا طاب ريحه وانتشر" . ص ٣٥٧ .
- (٩١) م . ن . ص ١٤ ، وقد جاء المصراع الثالث في النوافح ص ٣٧ على الوجه الآتي :
- وَأِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَسْبُلْغْ أَخِي دِيَارَهُ
- (٩٢) المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، ص ٤٦٣ .
- (٩٣) الديوان ، ص ١٣٢ ، وينظر في صفة نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، الشمانل المحمدية ، أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، خزج أحاديثه وعلّق عليه : عزت عبيد الدعاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت (التاريخ في المقدمة ١٩٨٥) . ص ٤٠-٤٢ .
- (٩٤) م . ن . ص ١٢٧ .
- (٩٥) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج ١ ، د. زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٩٦ .
- (٩٦) الشوق والحنين الى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، أ . د . الربيعي بن سلامة . (انترنيت)
- (٩٧) الديوان ، ص ١٢١-١٢٢ .
- (٩٨) الشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، د . لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه . (انترنيت)
- (٩٩) الديوان ، ص ١٠٧ .

- (١٠٠) م . ن ، ص ١٣٥ ، وفيه : " النجعة : الموضع الذي يرتحل اليه للمرعى والكلأ ، ومرهت عينه خللت من الكحل او فسدت لتركه والنعت أمره " . ومن النوافح ص ٣٥٩ : " وأمره : فاسد لكثرة البكاء عليه صلى الله عليه وسلم من مرهت عينه " .
- (١٠١) م . ن ، ص ٨١ ، وفي النوافح ص ٢١٧ : " قد : قطع أو شق " .
- (١٠٢) م . ن ، ص ٩ ، في النوافح ص ٩ : الوصول بدلاً عن الوصول .
- (١٠٣) م . ن ، ص ٩٧ . والتصويب مقتلاً بدلاً عن مقتنياً ، من النوافح العظمية ، ص ٢٦٠ .
- (١٠٤) الشعرفي مشاعر الحج ، أ . د . عبد الرزاق الحاج حسين ، الملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة ٢٠٠٨ . (انترنت)
- (١٠٥) الديوان ، ص ٩٦ . وفي النوافح ص ٢٥٨ : يطلع بدلاً عن يطلع .
- (١٠٦) ينظر : م . ن ، ص ١١١ .
- (١٠٧) نفسه ، والتصويب كأني بدلاً عن كأني من النوافح العظمية ، ص ٢٩٤ ، وجاء فيه : قيح بدلاً عن قيح ، والمصرع غير مستقيم وزناً .
- (١٠٨) ظاهرة الإغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول ، د . فتحي ارشيد شديفات ، الطريق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٣ .
- (١٠٩) الديوان ، ص ١٠٢ ، وفيه : " سفهت : خفت من الحلم وجهلت وقال رأيه : أخطأ ، وأرفع : أوسع وأخصب " ، "وعاق : منع وحبس ، لأيتها : ابطاؤها وتأخيرها " . النوافح ص ٢٧٢ . وعنه تم التصويب : علق بدلاً عن علق ، وأفرغ بدلاً عن أفرغ ، وحبس بدلاً عن حبس ، وبلغ بدلاً من بلغ . وجاء فيه : يزداد بدلاً عن يزداد . ص ٢٧٢ .
- (١١٠) م . ن ، ص ٧١ ، وجاء في النوافح ص ١٨٩ ، وكم بدلاً عن فكم .
- (١١١) م . ن ، ص ١١١ . وفي رواية النوافح ص ٢٩٥ هنالك تقديم وتأخير بين البيت الأول والثاني .
- (١١٢) م . ن ، ص ٤١ .
- (١١٣) م . ن ، ص ٣٤ .
- (١١٤) م . ن ، ص ٨٧ .
- (١١٥) م . ن ، ص ٣٣ ، وفيه : " حران : مبالغة من الحر ، والجوانح الضلوع ، والمراد ما اشتملت عليه من القلب والنضح الرش بالماء الذي يبرد الحر " .
- (١١٦) م ، ن ، ص ١٠٧ ، وفيه : " الرضف : الحجارة الحارة " . ويزيادة " المحماة ، والحبوب : الإثم " . النوافح ص ٢٨٥-٢٨٦ .
- (١١٧) م . ن ، ص ١٥١ ، جاء في النوافح ص ٤٠٢ : اختراماً : اقتطاعاً واستئصالاً ، بدلا عن احتراماً .
- (١١٨) م . ن ، ص ٩ .
- (١١٩) م . ن ، ص ٩٧ .

- (١٢٠) م . ن ، ص ٥٦-٥٧ ، وفيه : "النسر : اسم نجم ، وجبهة : اسم منزل من منازل القمر" ، وجاء في النوافح العظمية : "وهو أربعة أنجم ، وهذه إشارة الى إسرائه صلى الله عليه وسلم " . ص ١٤٥ ، وجاء فيه ص ١٤٦ : مواتاة بدلاً عن مواتات .
- (١٢١) م . ن ، ص ١١١ .
- (١٢٢) م . ن ، ص ٧٢ . وجاء في النوافح العظمية : " وقوله : ولو كنت في النعش ، اخرجه مخرج الغالب وهو أبلغ في المعنى من قوله الذي تقدم : * وقد يدرك المأمول والروح في النزاع * وقد يحتمل ان تكون حقيقية، فإذا كان في هذه حقيقية وهو مطروح في النعش ففي النزاع أولى" . ص ١٩٢-١٩٣ .
- (١٢٣) ينظر: م . ن ، ص ٣٥ .
- (١٢٤) م . ن ، ص ٤٣ .
- (١٢٥) م . ن ، ص ١١٣ .
- (١٢٦) ينظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ج ١ ص ١٨٩ وما بعدها ، والجزري شاعر الحب والجمال دراسة ، خالد جميل محمد ، دار الزمان ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (١٢٧) ينظر : فصل تطور الدراسات الإستشراقية عن الرسول القائد ضمن كتيب (تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي ، د. عبد الجبار ناجي ، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٨٥)، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٨١ وما بعدها) ، وكتاب الشخصية المحمدية ، معروف الرصافي ، منشورات الجمل كولونيا- بغداد ، ط ٥ ، ٢٠١١ . (أتمونجاً)
- (١٢٨) الديوان ، ص ١١٧ .
- (١٢٩) ينظر: القرآن الكريم ، سورة النجم الآيات (١-١٨) ، وسورة الإسراء الآية (١) ، والتكوير الآية (٢٣) .
- (١٣٠) الديوان ، ص ١٢٩ ، وفيه الأواه : "الرحيم" ، و" الخاشع القلب " . النوافح ص ٣٤٢ .
- (١٣١) م . ن ، ص ١٢٦ .
- (١٣٢) ينظر : م . ن ، ص ٨١ ، ١١١ ، ١٢١ .
- (١٣٣) م . ن ، ص ١٢٢ ، وفيه : " القيث الصيف والصيب السحاب والمحل الجذب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا " .
- (١٣٤) م . ن ، ص ٦٠ ، وفيه : "مدله : متحير ذاهب العقل ، والزرايبي : البسط ، والمبثوثة : المبسوطة والارتاب : جمع ترب وهن التي على سن واحد". وفيه اقتباس من القرآن الكريم ، ينظر : الغاشية : ١٦ ، و ص : الآية ٥٢ ، و الواقعة : الآية : ٣٧ ، والنبأ : الآية ٣٣ . يراجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٤-١٩٤٥ ، (مادة ترابا)
- (١٣٥) م . ن ، ص ٨١-٨٢ .
- (١٣٦) م . ن ، ص ١١٢ ، وفيه : " عسوس : أقبل ظلامه ، وتنفس الصبح : تبلج وظهر" ، وفيه اقتباس قرآني ، ينظر التكوير: الآية : ١٧-١٨ .

(١٣٧) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) تحقيق : محمد إبراهيم سليم مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص ١٠٦ .

ثبت المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- آثار أبي زيد الفازاني الأندلسي - نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة ، بيروت - دمشق ط ١ ، ١٩٩١ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ، م ٢ و ٣ ، تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٥ .
- الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، د . نور الهدى الكتاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
- الأدب في بلاد الشام - عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د . عمر موسى باشا ، دار الفكر المعاصر - بيروت (باشتراك) ، ط ١ ، ١٩٨٩ .
- الإغتراب في الشعر الأموي ، د . فاطمة حميد السويدي ، الناشر : مكتبة مدبولي ، القاهرة ط ١ ، ١٩٩٧ .
- برنامج شيوخ الرعيني ، أبو الحسن الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق : إبراهيم شبوح ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ .
- تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، ابن صاحب الصلاة (ت ٥٧٨هـ) تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- تحفة القادم ، ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) ، أعاد بناءه وعلق عليه د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج ١ ، د . زكي مبارك ، المكتبة العصرية بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .
- تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي ، د . عبد الجبار ناجي ، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٨٥) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ .
- الجزري شاعر الحب والجمال ، دراسة ، خالد جميل محمد ، دار الزمان ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .
- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة ٦٣٥ - ٨٩٧ هـ) ، إعداد : مها روجي إبراهيم الخليلي (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٧ .
- الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، د . يوسف بن علي بن إبراهيم العريني (سلسلة الأعمال المحكمة ٧) ، الرياض ، ١٩٩٥ . (انترنت)

- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، د. سوادي عبد محمد ، د. صالح عمار الحاج المكتب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة : د. منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب - الموصل ١٩٩٠ .
- ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبي زيد الفازلي الأندلسي وتحميسه لأبي بكر محمد بن المهيب ، مط المنار ، تونس ، ١٣٧٨ .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح : د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (د.ت) .
- الرواية والمكان ، ياسن النصير ، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٥٧) ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٠ .
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، التجيبي (ت ٥٩٨ هـ) ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- الشخصية المحمدية ، معروف الرصافي ، منشورات الجمل ، كولونيا- بغداد ، ط ٥ ، ٢٠١١ .
- الشعر في مشاعر الحج ، أ. د. عبد الرزاق الحاج حسين ، الملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة ٢٠٠٨ . (انترنت)
- الشمائل المحمدية ، أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه : عزت عبید الدعاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت (التاريخ في المقدمة ١٩٨٥) .
- الشوق الى النبي صلى الله عليه وسلم ، د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه . (انترنت)
- الشوق والحنين الى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، أ. د. الربيعي بن سلامة . (انترنت)
- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠١٠ .
- ظاهرة الإغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول ، د. فتحى ارشيد شديفات ، الطريق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٣ .
- غرياء القسم الثاني من صلة الصلة ، ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) ، منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (د. ت) .
- فجر الأندلس ، د. حسين مؤنس ، دار الرشد ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
- فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، د. عمر إبراهيم توفيق ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، ع ١ ، م ٥ ، السنة الخامسة ، ٢٠١٠ .
- في الأدب الأندلسي ، د. جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة (د. ت) .
- في تاريخ المغرب والأندلس ، د. أحمد مختار العبادي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٦ .

- القاضي عياض الأديب (الأدب العربي في ظل المرابطين) ، عبد السلام شقور ، دار الفكر المغربي ، ط١ ، ١٩٨٣ .
- القصائد العشرية ، أبو زيد الفازازي الأندلسي ، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي ، المكتبة الشعبية ، بيروت . (د . ت) .
- ما قبل هيكلية الزوايا بالمغرب : الطوائف الصوفية خلال مرحلة الإنحلال الموحدية ، د . محمد الشريف ، المملكة المغربية ، وزارة الثقافة . (انترنت)
- مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ، تحقيق : إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ع١٣ (عدد خاص بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة) ، ١٩٨١ .
- المرابطون والأندلس ، د . داود عمر سلامة ، دار الكتاب الثقافي ، إريد ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تح : محمد سعيد العريان ، مط شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مط دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٦٤ - ١٩٤٥ .
- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) ، تحقيق : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، (د . ت) .
- المقتضب من كتاب تحفة القادم ، إختيار وتقيد : أبي اسحاق البلفيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني (باشتراك) ، ط٢ ، ١٩٨٣ .
- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ، (روجعت هذه النسخة وقولت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء) ، دار الفكر ، (د . ت) .
- المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية ، د . فيروز موسى ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، (انترنت)
- موسوعة الحضارة الإسلامية ، العصر الأندلسي ، د . قصي الحسين ، دار البحار ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٥ .
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المقري (ت ١٠٤١ هـ) ، ج٢ ، ٥ ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ط١ ، ١٩٩٨ .
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الهواري الأندلسي ، د . محسن جمال الدين مجلة البلاغ الفكرية ، ع٨ ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٦٧ .

- النوافح العظيمة المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم) محمد بن مسنن البرنوي ، تأليف : محمد غريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢ (معتنى بتنقيحها وتصحيحها) ، ٢٠٠٧ .
- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ) ، ج ١ - ٢ ، اشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

Longing in Al-Easaal-Al-Mutaqabela Devan of Abu-Zaid Al-Fazazi Al-Andalusi (627 Hijri) in Prising the Prophet (Peace be on him) and Takhmis (to make five) of Abu-Bakr Muhammad bin Muheeb Al-Magharabi (645 Hijri)- Thematic Study.

By: Dr. Nizar Shukur Shakir
Sulaimani University
School of Basic Education

Abstract

The subject of panegyric poetry in prising the prophet Muhammad in Arabic Literature is related or linked to certain expressional contents and longing is one of them. Since most of the compositions and versifications which lie within the context of this religious subject have related this matter very keenly taking into consideration the results which lead the longings consequently to getting very close and attracted to the personality of the praised person within the subject in use, in reference to the praised person's characteristics as mentioned in the holy Quran and Hadeth.

The significance of this study lies in its attempt to get an answer to the following question:

What has longing offered to the panegyric poetry in praise of the prophet in Al-Wasael Al-Mutaqabela Divan on the intellectual level?

No doubt, getting an answer to such a question requires knowledge about the concept of longing (desire) in the collection mentioned above, which should submit to a descriptive and analytic study that should examine its concept contextually, and contribute in shedding light on its mechanisms in the scope of the poetic purpose by supporting it with meaning, as this experience is considered a pioneer in the Andalusian potry in this filed. Some see that the progress in the Muhammadian Panegyric poetry has become one

the known poetic genres since the last decades of the beginnings of the Mamulki Age, this is on one hand, on the other hand some others see that the firmness and the spread of this genre of poetry in Andalusian before the Al-Sarsary and Al-Busairy is due to the owner of this Divan 'Adu Zaid Al-Fazazi Al-Andalusi (627 Hijri). If the later is proven right academically -taking into consideration the closeness in period between the two texts – it is important to uncover the Andalusian style in the filed of Mohammadian panegyric recording a critical case. Hence the problem of this study emerges. It is hoped that this study would be of high significance for the readers and researchers. There is a self-relation to the praised (Mohammad 'peace be on him') which is a reason behind the immortality of the genre, it carries along with it certain sentimental concepts like: compliment love of the place inhabitants, meditation and self-reproach, congratulation of the riders and travellers to the prophet (peace be on him), sending greetings in stations where present longing values and those which compensate for the past missing, after having some semantic levels in the texts where the place and the trace transfer geographically to a source where the soul can find its missing mate. And this raises from the value of the dignifies after he has become like an exhibition of heroism and nobility depending on the inherent religious view in this spiritual field and the signs of intellectual back up among the poetic texts in this side which helps in constantly reminding the reader of the character of the prophet. This shows loyalty to the prophet which requires the intensity of the concept of human abstraction in the images of kissing and adoring the traces of the person who has been chosen by the Lord to be His prophet and messenger.

Remoteness or closeness has never been less important than what has been mentioned previously. The study focused on reducing the gap between the two concepts and getting a unified goal, especially in case of the signs of distance (remoteness) (such as: weeping, wound, loss) which emphasized the concepts of closeness (such as blaming the self, compliment, etc.) after having some motivation of this inevitable surmount such as:

1. Starting the journey of soul (the alternative element) with the body standing still. This journey is decorated with signs of request, with what man is supposed to be in terms of honour in

determination to the target to the extent of death and satisfaction; these are the characteristics of morality in this journey which is not doomed to stop to success.

2. Investigating the Quranic reality in its time and spatial contexts, to remind of the achieved closeness filled with hope, in the light of the available intellectual closeness which works on reducing the gap between it and the real distance.

Thus, it is obvious that Longing in Al-Wasael Al- Mutaqabela Divan appeared in employing its energy within the fame of Mohammadian panegyric.